Arab Journal of Sciences and Research Publishing
Volume (8), Issue (3): 30 Sep 2022
P: 87 - 122

ISSN: 2518- 5780

المجلة العربية للعلوم ونشـر الأبحـاث
المجلد (8)، العدد (3): 30 سبتمبر 2022 م
ص: 87 - 122

The relationship of the representative of the Levant, Nakz Al- Husami, with the Mamluk Sultan Al- Nasir Muhammad bin Qalawun (712- 740 AH/ 1312-1339/1340 AD)

Abdul- Jabbar Ahmed Al- Amlah

Faculty of Humanities and Social Sciences || University of Tunis || Tunisia

Abstract: This research deals with the relationship of Prince Tunkaz Al- Hussami with Sultan Al- Nasir Muhammad bin Qalawun. As a result, this relationship was greatly strengthened when Al- Nasser married one of the daughters of Prince Tankaz, so visits were repeated. To the Sultan in Cairo, and in return, the Sultan's visits to Damascus were repeated, and it came to the point that the Sultan offered the prince to marry his daughters to the children of the illiterate. In the end, they paid Nasir to get rid of Prince Tenkaz and kill him. This tragic end to the personality of Prince Tankz raises many questions and controversy about the problem of the relationship that developed between the Prince and the Sultan and ended in this tragic way. Al- Khaznadar, and this participation was in the period that preceded his rule of Damascus, and his role in the jihad against the Armenians (Maltaia and Sis) in His tenure over Damascus, especially his famous military campaign against Malatya in 715 AH/ 1315 AD, and the participation of the Damascene forces in the campaign against Sis in 737 AH/ 1337 AD.

This exciting relationship, and this sad end of that relationship, is but a microcosm of the nature of the relationships that existed between the sultans themselves, the sultans and the princes, and the princes among themselves, that relationship that was based on suspicion and mistrust among them, and it often led to One side was killed.

Keywords: Tnkz Al- Hussami- Al- Nasir Muhammad.

علاقة نائب الشام تنكز الحسامي بالسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون (712- 740هـ/ 1312- 1340/1339م)

عبد الجبار أحمد العملة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية || جامعة تونس || تونس

المستخلص: يتناول هذا البحث علاقة الأمير تنكز الحسامي بالسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون، هذه العلاقة التي بدأت ترتسم ملامحها منذ وجود السلطان الناصر في الكرك، وقبل توليه منصب السلطنة المملوكية للمرة الثالثة عام 709هـ/1309م، ثم تطورت بتعيينه نائباً للشام عام 712هـ/1312م، وعلى أثر ذلك توثقت هذه العلاقة بشكل كبير عندما تزوج الناصر إحدى بنات الأمير تنكز، فتكررت زيارات تنكز للسلطان في القاهرة، وفي المقابل تكررت زيارات السلطان لدمشق، ووصل الأمر إلى أن عرض السلطان على الأمير تنكز أن يزوج بناته لأولاد الأمير، كما تناول هذا البحث كيفية تحول هذه العلاقة الوثيقة وهذا الود الكبير الذي ربط السلطان الناصر بالأمير تنكز، إلى عداوة وكره شديدين، دفعا بالناصر في نهاية المطاف إلى التخلص من الأمير تنكز وقتله.

إن هذه النهاية المأساوية التي آلت إليها شخصية الأمير تنكز، تثير الكثير من التساؤلات والجدل عن إشكالية العلاقة التي ارتسمت ملامحها بين الأمير والسلطان وانتهت بهذا الشكل التراجيدي، فلم يشفع لتنكز دوره في الجهاد ضد أعداء الدولة المملوكية (المغول والأرمن)، في

معركتي شقحب ووادي الخزندار، وكانت هذه المشاركة في الفترة التي سبقت حكمه لدمشق، ودوره في الجهاد ضد الأرمن(ملطية وسيس) في فترة ولايته على دمشق، خاصة حملته العسكرية الشهيرة على ملطية عام 715هـ/1315م، ومشاركة القوات الدمشقية في الحملة على بلاد سيس عام 737هـ/1337م، هذه العلاقة المثيرة، وهذه النهاية المحزنة لتلك العلاقة، ما هي إلا صورة مصغرة عن طبيعة العلاقات التي كانت قائمة بين السلاطين أنفسهم، والسلاطين والأمراء، والأمراء فيما بينهم، تلك العلاقة التي كانت قائمة على الشك والريبة فيما بينهم، وكانت في كثير من الأحيان تؤدي إلى قتل أحد الأطراف.

الكلمات المفتاحية: تنكز الحسامي – الناصر محمد

الرموز والمصطلحات

عند استخدام الكتاب في البحث يذكر اسم الشهرة للمؤلف، والمقطع الأول من اسم الكتاب في حالة وجود أكثر من كتاب لهذا المؤلف.

أما الرموز والمختصرات العربية التي وردت في البحث فهي:-

ت = توفي	د. ن = دون ذكر دار النشر
ج = الجزء	ط = الطبعة
ح = حاشية	ق = القسم
د. ت = دون ذكر تاريخ نشر	م = ميلادي
د. م = دون ذكر مكان نشر	هـ = هجري

مقدمة:

تعتبر علاقة الأمراء بسلاطينهم في العصر المملوكي من أغرب العلاقات التي سادت بين المسؤولين في الدول عبر التاريخ، ذلك أن هؤلاء الأمراء ارتبطوا بالسلاطين بحكم المسؤوليات التي أنيطت بهم، أو بحكم شراء السلاطين لهم، أو بحكم الزمالة في الجيش أو الإدارة، وفي خضم هذه الأحداث كثيراً ما كانت تظهر تحالفات وثيقة بين بعض الأمراء والسلاطين، تطيح بسلطان قتلاً أو عزلاً، وتأتي بسلطان آخر إلى كرسي السلطنة في القاهرة.

لقد كان من سخريات القدر أن تنشأ تلك العلاقة الوثيقة بين الأمير تنكز الحسامي والسلطان رأساً على عقب، وتنتهي بقتل الأمير تنكز على يد حليفه السلطان الناصر محمد.

ومما يزيد من غرابة المشهد أن الأمير تنكز منح صلاحيات مطلقة على مختلف نيابات الشام، لم تمنح لأمير أو نائب قبله، وذلك بموجب مرسوم سلطاني أصدره الناصر محمد بهذا الخصوص، كما ارتبط الناصر محمد بعلاقة مصاهرة مع نائب دمشق تنكز الحسامي، غير إن هذا كله لم يشفع لتنكز عند السلطان الذي قرر التخلص منه.

وفي هذا البحث محاولة جادة من الباحث، وبأسلوب علمي رصين، كشف اللثام عن طبيعة تلك العلاقة التي نشأت بين الأمير والسلطان، وتقصي الملابسات التي أحاطت بتلك العلاقة، واستخلاص الأسباب التي أدت إلى توترها ومن ثم تدهورها، والنهاية المحزنة التي آلت إليه.

مشكلة البحث:

دراسة طبيعة العلاقة التي نشأت بين الأمير تنكز الحسامي والسلطان الناصر محمد بن قلاوون، وتطور تلك العلاقة الاستراتيجية، ومعرفة الظروف السياسية والإدارية التي أحاطت بها، ومن ثم انقلاب المشهد بسبب ما حدث من انتكاسة على تلك العلاقة وما وصلت إليه من نهاية تراجيدية للأمير تنكز الحسامي، رغم كل الامتيازات التي حصل عليها الأمير المذكور.

الدراسات السابقة:

هناك بعض الدراسات التي عالجت شخصية الأمير تنكز الحسامي في بعض الجوانب، غير أنها لم تتحدث بشكل مسهب عن علاقته بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون، ومن أهم هذه الدراسات:

- الأمير تنكز الحسامي/ حياة الحجي
- ملك الأمراء سيف الدين تنكز نائب الشام/ زينب أبو علي
- نيابة دمشق في عهد الأمير تنكز الحسامي/ عبدالجبار العملة

منهجية البحث وطرائقه.

اعتمد الباحث في بحثه على المنهج التاريخي الوصفي التحليلي، والذي يستند على القيام بجمع الأدلة عن الظاهرة أو الإشكالية في الماضي، ومن ثم الوصول إلى النتائج ذات القرائن.

دراسة في شخصية الأمير تنكز الحسامي:

اسمه:

هو الأمير سيف الدين أبو سعيد تنكز بن عبد الله الحسامي الناصري[1].

أصله:

الأمير تنكز من الأتراك القفجاقية[2]، شأنه في ذلك شأن الكثير من المماليك، ومن المعروف أن المماليك ليسوا من أصل واحد بل كانوا من أجناس شتى حملها تجار الرقيق[3].

ولذا فالأمير تنكز مملوك جلبه الخواجا[4] علاء الدين التاجر، وكان تنكز آنذاك صغير السن، فاشتراه الأمير حسام الدين لاجين[5]قبل سلطنته، حيث أصبح سلطاناً على الدولة المملوكية فيما بعد (696_698هـ/1296_1298م)وعرف بالملك المنصور حسام الدين لاجين، وبعد مقتله أصبح تنكز

---

(1) ابن الوردي، 466/2؛ اليوسفي، 113؛ الصفدي، الوافي 420/10، أمراء، 22؛ الكتبي، 251/1؛ ابن كثير، 152/14؛ ابن حبيب، *تذكرة*، 321/2؛ ابن خلدون، 442/5؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق1، 118؛ ابن حجر، 520/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم* 242/9، *المنهل*، 156/4؛ النعيمي، 91/1، 186/2؛ الشوكاني، 169/1.

(2) الأتراك القفجاقية: وهم فرع من الترك، مساكنهم الأصلية حوض نهر إتل ((الفولجا))، جنوب روسيا الحالية، وهم قوم لا يستوطنون داراً، بل ينتقلون من أراضيهم في ارتياد مياههم ومراعيهم، وهم قبائل متعددة، ولم يزالوا قاطنين بأماكنهم إلى أن اتفق خروج المغول واستيلائهم على تلك الأقاليم والأمصار سنة 617هـ/1220م.

(المنصوري، 50/1أ؛ ابن دقماق 51/2؛ القلقشندي، 420/1_421؛ المقريزي، *السلوك*، 1/ ق2، 339، 341؛ ابن تغري بردي، *النجوم* 58/12، ح2).

(3) عن أصل المماليك وتجارة الرقيق ينظر:

(المنصوري، 50/1أ، 142؛ ابن دقماق، 51/2؛ القلقشندي، 420/1_421؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 524_525، *الخطط*، 372/3_374؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 183/7، 152/9، 58/12، ح2؛ مبارك باشا، 98؛ العريني، 56)

(4) الخواجا: لفظ فارسي بمعنى التاجر أو الشيخ أو السيد. (التونجي، 243).

(5) حسام الدين لاجين: هو السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين، أصله من مماليك السلطان الملك المنصور قلاوون، اشتراه ورباه وأعتقه ورقاه إلى أن جعله من جملة مماليكه، فلما تسلطن قلاوون أمره وجعله نائبا لقلعة دمشق، تسلطن لاجين عام(696هـ/1296م)، ودامت سلطنته مدة سنتين وثلاثة شهور، ومع ذلك فقد كان ((ديناً متقشفاً كثير الصوم قليل الأذى قطع أكثر

من خاصكية[6] السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وذلك مع بداية سلطنته الثانية في الدولة المملوكية (698- 708هـ/1299- 1308م)[7].

ونظراً لأن المملوك يلقب بلقب أستاذه فقد لقب تنكز بالحسامي نسبة إلى حسام الدين لاجين، كما لقب بالناصري نسبة إلى أستاذه الثاني الناصر محمد بن قلاوون[8]، ويذكر ابن حجر العسقلاني أن علاء الدين السيواسي _و الذي جلب تنكز إلى مصر _لم يبعه للأمير حسام الدين لاجين، بل باعه للسلطان الأشرف خليل بن قلاوون[9][2]، وأن حسام الدين لاجين اشتراه من الأشرف خليل[10]. ومما يؤكد ذلك أن كلاً من الصفدي في((الوافي بالوفيات))وابن تغري بردي في((المنهل الصافي)) يؤكدان هذا الخبر، والذي نقله أولا هو الصفدي ثم ابن تغري بردي فيقول الصفدي بهذا الصدد: ((أخبرني القاضي شهاب الدين ابن القيسراني قال: قال لي ((تنكز)) يوماً: أنا والأمير سيف الدين طينال[11] من مماليك الملك الأشرف))[12]، ويضيف ابن تغري بردي قائلا: ((يعني بذلك الأشرف خليل بن قلاوون))[13]. كما أن الصفدي في ((تحفة ذوي الألباب))يقول عن أصل الأمير تنكز بأنه ((مملوك الأشرف والناس يعتقدون أنه مملوك لاجين))[14].

خلاصة القول فإن الأشرف خليل بن قلاوون هو أول من امتلك تنكز، حيث اشتراه من الخواجا علاء الدين السيواسي التاجر، ثم امتلكه حسام الدين لاجين، وبعد مقتله انتقلت ملكيته إلى الناصر محمد بن قلاوون، حيث أصبح أحد خاصكيته والمقربين منه.

المكوس، وقال: إن عشت ما تركت مكساً واحدا))، وكانت وفاته عام 698هـ/1298م، وفي أيامه أبطل عادة نقل الثلج من الشام إلى القاهرة عن طريق البحر.

(الجزري، 446/1؛ الذهبي، *دول*، 201/2، *سير*، 200/17_201، *العبر*، 393/3؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 70/8، 86_87).

(6) الخاصكية: لفظ مملوكي جمع، مفرده خاصكي، وهم نوع من المماليك السلطانية يختارهم من المماليك الأجلاب الذين دخلوا في خدمته صغاراً ويجعلهم في حرسه الخاص، وجعل هذا الاسم خاصاً بهم لأنهم يحضرون على السلطان في أوقات خلواته وفراغه، ويحضرون في خدمة الإصطبل والقصر، ويركبون مركوب السلطان ليلاً ونهاراً ولا يتخلون في قرب ولا بعد، ويجهزون في المهمات الشريفة، وكانت عدتهم في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون أربعين خاصكياً.(الظاهري، 115_116؛ دهمان، *معجم*، 66؛ الخطيب، 157).

(7) الصفدي، *الوافي*، 420/10؛ الكتبي، 251/1؛ ابن خلدون، 442/5؛ ابن حجر، 520/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 117/9، 242؛ *المنهل*، 156/4؛ ابن إياس، 1/ ق1، 479_480؛ الشوكاني، 169/1؛ دهمان، *ولاة*، 156؛ الحجي، 11.

(8) ابن تغري بردي، *النجوم*، 117/9؛ ابن إياس، 1/ ق1، 479_480؛ دهمان، *ولاة*، 156؛ الحجي، 11.

(9) خليل بن قلاوون: الأشرف صلاح الدين خليل بن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي، تولى الحكم في سلطنة المماليك في يوم وفاة أبيه في ذي القعدة سنة 689هـ/تشرين الثاني1290م، واستمر حتى عام 693هـ/1293م، حيث قتل وهو خارج للصيد. (ابن كثير، 278/13؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 3/8).

(10) ابن حجر، 520/1.

(11) سيف الدين طينال: هو الأمير سيف الدين طينال الأشرفي الحاجب، ولي نيابة طرابلس عام 726هـ/1326م، وبقي فيها نائبا حتى عام 733هـ/1332م، فنقل إلى نيابة غزة إهانة له بسبب شكوى نائب الشام ((تنكز))عليه فحكم بها قليلا ثم عاد إلى طرابلس عام 735هـ/1334م بعد

أن تعهد بالطاعة لتنكز، ثم أمر نائبا بدمشق عام 741هـ/1340م بعد القبض على تنكز، ثم أعيد إلى طرابلس وبعدها إلى نيابة صفد فمات بها عام 743هـ/1342م.(الصفدي، الوافي، 516/16؛ ابن كثير 99/14؛ ابن حجر، 232/2_233).

(12) الكتبي، 251/1؛ الصفدي، *الوافي* 420/10؛ ابن تغري بردي، *المنهل*، 157/4.

(13) ابن تغري بردي، *المنهل*، 157/4.

(14) الصفدي، *تحفة*، 231/2.

إذن فتنكز الحسامي كان مملوكاً يشابه في أصله بقية السلاطين والأمراء من المماليك الذين جلبوا إلى مصر كي يباعوا إلى أولي الأمر في البلاد، ومن ثم ينشؤون في البلاط السلطاني لكي يترقوا تدريجيا في السلم الإداري العالي في الدولة، بل يكونون جزءاً من الطبقة الحاكمة، أو تلك الفئة من كبار الأمراء في سلطنة المماليك[15].

ثقافته وعلمه:

بلغ الأمير تنكز درجة علمية لا بأس بها، فيذكر المؤرخون أن الأمير أكب على دراسة العلوم الدينية خاصة الحديث منها: فسمع صحيح البخاري أكثر من مرة من أبي العباس أحمد بن أبي طالب بن الشحنة الدمشقي[16]، وسمع كتاب "معاني الآثار" للطحاوي، وصحيح مسلم، ويضاف إلى ذلك أن الأمير تنكز سمع من عيسى المطعّم[17]، وتعلم على يديه، كما سمع من أبي بكر بن عبد الدائم[18]، وقرأ عليه الشيخ محيي الدين عبد القادر المقريزي[19] "ثلاثيات البخاري" بالمدينة النبوية[20]، ولهذا فإن الأمير تنكز "كان يعظم أهل العلم، وإذا كان عنده منهم أحد لم يسند ظهره يتقبل ويقبل بوجهه إليه ويؤنسه بالقول والفعل"[21].

نشأته وظهوره على مسرح الأحداث:

بعد أن أصبح تنكز من خاصكية السلطان الناصر، ومن المقربين منه أمّره إمرة عشرة[22]، وقد رقي إلى هذه المرتبة من قبل السلطان الناصر في سلطنته الثانية (698_708هـ/1299_1308م)، وذلك قبل توجهه إلى الكرك[23]،

---

(15) الحجي، 12.

(16) ابن الشحنة: هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن أبي طالب بن نعمة بن حسن بن علي بن بيان الدير مقرني ثم الصالحي الحجار المعروف بابن الشحنة، ولد سنة 624هـ/1226م، اشتهر بعلم الحديث في زمنه، توفي سنة 730هـ/1329م. (الجزري، 410/2_411؛ الذهبي، دول، 238/2، *ذيول*، 88/4؛ اليافعي 281/4؛ ابن كثير، 120/14؛ المقريزي، المقفى، 415/1؛ ابن حجر، 327/1).

(17) عيسى المطعّم: هو الشيخ عيسى بن عبد الرحمن بن معالي بن أحمد بن إسماعيل بن عطاف بن مبارك بن علي بن أبي الجيش المقدسي الصالحي الحنبلي المعروف بالمطعّم، ولد سنة 646هـ/1248م، وكان يطعّم الأشجار ويسمسر في الدور، وسار إلى بغداد وطعّم بستان المستعصم، روى صحيح البخاري، توفي عام 720هـ/1320م عن أربع وسبعين عاماً. (ابن كثير، 76/14؛ ابن حجر، 204/3).

(18) ابن عبد الدائم: هو شرف الدين أبو العباس أحمد بن الشيخ كمال الدين أحمد بن نعمه بن أحمد بن جعفر بن حسين بن حماد المقدسي الشافعي، ولد سنة 622هـ/1225م، وسمع الكثير، وكتب حسناً، وصنف فأجاد وأفاد، ولي القضاء والخطابة والتدريس بدمشق، وكان مدرس المدرسة الغزالية ودار الحديث النورية مع الخطابة، وأذن بالإفتاء للشيخ ابن تيمية، صنف كتاباً في أصول الفقه، توفي عام 694هـ/1294م ودفن بمقابر باب كيسان بدمشق عن عمر جاوز السبعين (ابن كثير، 284/13).

(19) عبد القادر المقريزي: هو عبد القادر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبد الصمد بن تميم ابن أبي الحسن بن عبد الصمد ابن تميم المقريزي البعلبكي محيي الدين الحنبلي، ولد سنة 677هـ/1278م، وسمع على مجموعة من العلماء، كابن عبد الدائم وأبي الفضل ابن عساكر وغيرهم، ولي مشيخة الحديث بالمدرسة البهائية بدمشق، مات في أواخر سنة 734هـ/1333م، وقيل قبل ذلك بعام أو عامين، وهو جد تقي الدين أحمد بن علي المقريزي. (ابن حجر، 391/2).

(20) الذهبي، *ذيول*، 121/4؛ الصفدي، *الوافي*، 420/10؛ المقريزي، المقفى، 619/2؛ ابن حجر، 523/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 117/9، *المنهل*، 3/4؛ مرزوق 219؛ دهمان، *ولاة*، 156؛ العريني، 94؛ الحجي، 11.

(21) ابن حجر، 523/1.

(22) الكتبي، 251/1؛ الصفدي، *الوافي*، 421/10، *تحفة* 231/2_432؛ المقريزي، *المقفى*، 607/2؛ ابن حجر، 520/1؛ ابن تغري بردي، *المنهل*، 157/4، *النجوم*، 117/9؛ ابن إياس، 1/ ق1، 480؛ الشوكاني، 169/1؛ الحجي، 11، 12.

(23) الصفدي، *الوافي* 421/10، *تحفة* 231/2_232؛ الكتبي، 251/1؛ المقريزي، المقفى، 607/2؛ ابن حجر، 520/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 117/9، *المنهل*، 157/4؛ الشوكاني، 169/1؛ الحجي، 11، 12.

وفي أثناء إقامة السلطان الناصر بالكرك كان تنكز مقيماً معه، بل ويترسل بينه وبين الأفرم[24] نائب دمشق آنذاك، فاتهمه الأفرم مرة أن معه كتاباً إلى أمراء الشام ففتشه وعرض عليه العقوبه، فرجع إلى الناصر في الكرك، وشكا إليه ما لقيه من الإهانة، فقال له الناصر: ((إن عدت إلى الملك فأنت نائب الشام))[25].

ويتفق مؤرخو العصر المملوكي على أنه بعد عودة الناصر محمد بن قلاوون من الكرك ليتولى زمام حكم دولة المماليك للمرة الثالثة عام 709هـ/1310م أصدر مرسوماً بتعيين تنكز الحسامي نائباً للشام عوضاً عن الأمير جمال الدين آقوش الأفرم في ربيع الثاني سنة712هـ/آب سنة1312م[26].

ويبدو أن الناصر محمد كان يهدف من وراء تنفيذ هذه الخطوة أن يوجد لنفسه في فترة حكمه تلك نوابا مخلصين يتفانون في العمل على تعزيز سلطته في مختلف ولايات الدولة، يكونون بمثابة الساعد الأيمن له في تلك المرحلة الحاسمة في تاريخ سلطنة المماليك، خصوصا وأنه واجه مشاكل عديدة من قبل الأمراء الطامعين في الحكم حيث عزلوه عن السلطة مرتين[27].

ويلاحظ بأن الناصر محمد بن قلاوون عمل على تهيئة تنكز لتولي نيابة دمشق، وذلك من خلال تدريبه على فن القيادة وأساليب الإدارة والحكم، فيذكر مؤرخو العصر المملوكي بهذا الصدد انه لما عاد الناصر إلى كرسي الحكم: ((قال لتنكز ولسودي[28]: لازما أرغون[29] النائب وتعلما أحكامه فلازماه سنة، ثم جهز سودي لنيابة حلب، وتنكز لنيابة الشام على البريد، وكان أول ما أمّر طبلخاناه في أواخر شوال عام 709هـ/أذار 1309م بعد رجوع الناصر إلى السلطنة،

---

(24) آقوش الأفرم: هو آقوش بن عبد الله الدواد اري المنصوري، الأمير جمال الدين، نقل من مصر إلى الشام أميرًا، وأقام بها مرة قبل النيابة وكان في نيابته بدمشق يسكن القصر الأبلق، وأنشأ في الصالحية جامعه المشهور، وكان قد عظم في نيابته بدمشق، حتى انه كان يكتب تواقيع بوظائف وإقطاعات ويبعثها إلى مصر ليعلم عليها السلطان، وفي عهد الناصر محمد بن قلاوون عزل عن النيابة ثم أعيد إلى نيابة طرابلس، ومنها فر هو وقرا سنقر إلى ملك المغول، كان فارساً بطلاً، وكان لأهل دمشق فيه محبه مفرطة. (الصفدي، الوافي، 326/9، *تحفة*، 226/2_229؛ ابن حجر، 396/1_398؛ ابن تغري بردي، *المنهل*، 3/9_14؛ ابن طولون، 10_11؛ دهمان، *ولاة*، 144).

(25) الصفدي، الوافي 421/10؛ ابن حجر، 520/1؛ ابن تغري بردي، *المنهل* 157/4_158؛ الشوكاني 169/1؛ دهمان، ولاة، 156؛ الحجي، 12.

(26) مجهول، 158؛ الشجاعي، 45ب؛ الذهبي، دول، 217/2؛ ابن الوردي، 372/2؛ الصفدي، *تحفة*، 232/2، *الوافي*، 421/10، *أمراء*، 22؛ ابن كثير، 53/14؛ ابن حبيب، *درة*، 297/1أ- ب؛ ابن صصرى، 183؛ ابن خلدون، 425/5، 442؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق1، 118؛ ابن حجر، 520/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 117/9_118، *المنهل* 158/4؛ ابن إياس، 1/ ق1، 421؛ ابن طولون، 12؛ النعيمي، 186/2؛ الشوكاني، 169/1؛ دهمان، *ولاة*، 156.

(27) ابن أيبك، 6/9، 167؛ الذهبي، دول، 247/2؛ الصفدي، *الوافي*، 353/4_366؛ ابن حبيب، *درة*، 180/1أ؛ المقريزي، *الذهب*، 55ب، 56أ_56ب، 57أ؛ ابن حجر، 144/4_148؛ الحجي، 13.

(28) سودي: هو سيف الدين سودي بن عبد الله الناصري، كان من أعيان الأمراء، عين نائباً على حلب في سنة 712هـ/1312م، وهو الذي أجرى النهر من الشاجور إلى قويق وطوله أربعون ألف ذراع، وكانت الغرامة عليه أربعمائة ألف درهم، لم يظلم منه أحداً، ولم يزل إلى أن مات في رجب سنة 714هـ/تشرين الأول1314م، وكانت مدة إمرته على حلب سنتين، وكان مشكور السيرة في ولاية، وهو ممن أنشأه الملك الناصر محمد من مماليكه. (ابن كثير، 50/14؛ ابن حجر، 179/2؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 162/9).

(29) أرغون: هو الأمير سيف الدين أرغون شاه الناصري، كان قد جلبه الكمال الخطائي إلى السلطان بوسعيد من الصين، فبعثه إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون، فحظي عنده، وتدرج بالإمرة حتى رسم له بنيابة صفد، فبقي بها حتى سنة 748هـ/1348م، ثم ولي نيابة حلب في نفس العام، ، ثم ولي دمشق وتوفي فيها سنة 750هـ/1349م. (الصفدي، الوافي، 351/8_354، *تحفة*، 272/1_278؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 800_803؛ ابن حجر، 350/1؛ دهمان، *ولاة*، 196).

وكانت ولايته على دمشق في ربيع الآخر 712هـ/آب1312م، وأرسل معه الحاج أرقطاي[30]، والحسام طرنطاي[31] البشمقدار[32]، وأمره أن لا يقطع أمرا دونهما، فباشرها، وتمكن منها، ولما لبس الخلعة، وحضر الموكب، مدحه علاء الدين ابن غانم [33] موقع الدست، فأثابه، واستمر يجلس وإلى جانبه الأرقطاي، فتقرأ القصص عليهما، وسلك تنكز سبيل الحرمة والناموس البالغ[34]".

يلاحظ بأن السلطان الناصر وقبل تقليد تنكز نيابة دمشق عام 712هـ/1312م، عمل على ترقيته من مرتبة أمير عشرة إلى مرتبة أمير طبلخاناه عام 709هـ/1309م، وقد احتفل المماليك بهذه الترقية التي حصل عليها تنكز مع مجموعة من الأمراء، وذلك في مدينة القاهرة[35].

وحينما عين السلطان الناصر تنكز نائبا على دمشق أقيمت الاحتفالات في المدينة بهذه المناسبة، إذ "خرج الناس لتلقيه وفرحوا به كثيرا، ونزل بدار السعادة، ووقع عند قدومه مصر فرح عظيم ...، وأشعلت له الشموع في طريقه"[36].

فلما جلس الأمير تنكز بدار السعادة، وحضر الأمراء والقضاة وأهل الدولة على العادة، قام علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن سلمان بن غانم الموقع وانشد أبياتا شعرية يرحب فيها بتنكز ويمتدحه، ومنها:

بشر دمشق بوجوده فيها *** ومن ظهرت دلائل جوده
إذا جاءها الرحمن منه برحمة *** وسمت جميع الأرض عند وروده
وتيمن طلعته وطالعه الذي *** شرقت علينا نيرات سعوده
طابت دمشق لأهلها وجميع من *** فيها بما سكنت بجفن بنوده
كم في المغاني من معان أطربت *** فرحاً بمقدمه ومن وروده
وتناثرت ورد الحباء حبّاً له *** لما يرى ذاك النهار كعيده[37]

(30) الحاج أرقطاي: هو الأمير سيف الدين أرقطاي بن عبد الله، وهو ممن أنشأهم الملك الناصر محمد بن قلاوون، ورقاه إلى أن ولاه نيابة صفد، ثم تولى عدة نيابات فيما بعد، كطرابلس، وحلب، توفي في خامس جمادى الأولى سنة 750هـ/23 تموز 1349م.(المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 812؛ ابن حجر، 354/1؛ ابن تغري بردي، *المنهل*، 328/2).

(31) الحسام طرنطاي: هو الأمير حسام الدين طرنطاي البشمقدار، ولي نيابة غزة أيام الملك الصالح علاء الدين إسماعيل بن الناصر محمد، (743_746هـ/1342_1345م)، عام 743هـ/1342م، وذلك بعد توجه الأمير علم الدين سنجر بن عبدالله الجاولي إلى مصر، وأقام في غزة سنة أو أكثر، ثم نقل إلى مصر سنة 744هـ/1343م، وتوفي بدمشق عام 748هـ/1347م بعد أن جاوز السبعين. (ابن حبيب، *درة*، 270/2ب؛ ابن حجر، 217/2).

(32) البشمقدار: ورد في بعض المصادر((البجمقدار)) وهو لفظ مركب من: بجمق التركية بمعنى النعل، ودار الفارسية بمعنى ممسك، فيكون معناه ممسك النعل أو حامل النعل، وكانت مهمة البشمقدار حمل نعال الملك أو السلطان.(القلقشندي، 431/5؛ ابن كنان، 139؛ الخطي، 69؛ عاشور، *العصر*، 418).

(33) علاء الدين بن غانم: هو أبو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن حمائل بن علي المقدسي، أحد الكبار المشهورين بالفضائل وحسن الترسل وكثرة الآداب والأشعار، ولد سنة 651هـ/1253م، وسمع الحديث، وحفظ القرآن والتنبيه، توفي أثناء رجوعه من الحج في تبوك عام 737هـ/1336م، ودفن هناك.(ابن كثير، 144/14؛ ابن حجر، 103/3_104).

(34) الكتبي، 251/1_252؛ الصفدي، الوافي، 420/10_421؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق1، 118، المقفى، 608/2؛ ابن حجر، 520/1_521.

(35) ابن الوردي، 372/2؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق1، 77، المقفى 607/2؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 12/9_13).

(36) الذهبي، *دول*، 217/2؛ ابن كثير، 53/14.

(37) المقريزي، المقفى، 608/2.

ويلاحظ بأن تنكز الحسامي وصل إلى نيابة دمشق في فترة وجيزة جدا، فالفترة الواقعة بين حصوله على مرتبة الطبلخاناه عام709هـ/1309م وبين تقليده منصب النيابة عام712هـ/1312م هي فترة قصيرة جداً لم تتجاوز الثلاث سنوات، ولذا فإن تنكز الحسامي يعتبر أول أمير قفز قفزة واحدة إلى النيابة في عصره[38]. ويعبر ابن تغري بردي عن ذلك بقوله: ((ثم خلع السلطان على تنكز الحسامي الناصري بنيابة دمشق دفعة واحدة عوضا عن آقوش نائب الكرك، وتنكز هذا هو أول من رقاه من مماليكه إلى الرتب السنية[39]))).

فمن المعروف أن المملوك كان يحصل بداية على مرتبة أمير خمسة، ثم أمير عشرة، ثم أمير طبلخاناه، ثم أمير مائة، وكان يسلك في طريق ترقيته خلال هذه الرتب طريقين: الأولى: التدرج الطبيعي من رتبة إلى أخرى، فكان السلطان إذا اشترى عددا من المماليك يرسلهم أولا إلى الأطباء لفحصهم، ثم يضم المملوك بعد ذلك إلى الطباق[40]، ثم يسلم إلى طواشي من اجل تعليمه الكتابة[41]، وأول ما يبدأ بتعلمه القرآن الكريم بوساطة فقيه، وكان لكل مجموعة منهم فقيه خاص يعلمهم آداب الشريعة وملازمة الصلاة، فإذا اجتاز المملوك هذه المرحلة، كان يعلم شيئا من الفقه، ثم يُدرب على الفروسية والقتال حتى يتمكن من إجادتها[42]، ويدرج المملوك بعد ذلك بالجامكية[43]، فإذا وصل إلى سن الرجولة فإنه يعتق وينعم عليه بخيل وقماش، ويصبح أمير خمسة، ثم يتدرج بعد ذلك بالرتب العسكرية إلى أن يصير من الأمراء، فلا يبلغ هذه المرحلة إلا وقد كثرت آدابه، وامتزج تعظيم الإسلام قلبه، واشتد ساعده، ومرن على ركوب الخيل، وقد كان للمماليك أزمّة من الخدام، وأكابر من رؤوس النوَب، يفحصون الواحد منهم فحصا شافيا، ويؤاخذونه أشد المؤاخذة، فان عثر أحد مؤدبيه على أنه اقترف ذنبا أو أخل برسم أو ترك شيئا من آداب الدين والدنيا، قابله على ذلك بعقوبة شديدة بقدر جرمه، وهكذا فقد كان المماليك في بداية عهدهم سادة يديرون الممالك، وقادة يجاهدون في سبيل الله، وأهل سياسة يبالغون في إظهار الجميل، وصار منهم الفقيه والأديب والحاسب[44]، أما الطريق الآخر: فهو الطفرة، أي الترقية السريعة دون السلوك في الطريق والتدرج الطبيعي[45]، وهو ما سلكه تنكز.

بعد أن أصبح تنكز مملوكا للناصر، رقاه الناصر إلى رتبة((أمير عشرة))، ثم أمير طبلخاناه، ثم ولاه نيابة دمشق، ((فتمكن تنكز في النيابة[46]))، ولذا يعد الأمير تنكز أول من رقاه السلطان الناصر من مماليكه إلى الرتب السنية[47].

---

(38) دهمان، *ولاة*، 156.

(39) ابن تغري بردي، *النجوم*، 30/9.

(40) الطباق: أو الأطباق، مفردها طبقة أو طبق، وهي الأماكن التي يسكنها المماليك الذين يشتريهم السلطان أو حتى الأمراء، وهي المدارس العسكرية، وكانت هذه الطباق موجودة في أماكن متفرقة من القاهرة وخارجها ولاسيما في القلعة، حتى أنه بلغ عددها اثني عشر طبقا أو أكثر، وكان بعضها يشغل مساحة كبيرة، كأنه حي بأكمله قد يحتوي على ألف مملوك. (البقلي، 227_228؛ دهمان، *معجم*، 105؛ الخطيب، 303).

(41) المقريزي، *الخطط*، 372/3.

(42) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 524_525، *الخطط*، 372/3_373؛ مبارك باشا، 134.

(43) الجامكية: لفظ فارسي مشتق من جامة بمعنى اللباس، أي نفقات أو تعويض اللباس الحكومي، وقد ترد بمعنى الأجر أو الراتب أو المنحة، والجمع جامكيات، جوامك، جماكي. (القلقشندي، 524/3، ح4؛ المقريزي، *السلوك*، 1/ ق1، 52؛ ابن أجا 167؛ التونجي، 198؛ أدي شير، 45؛ البقلي، 82؛ دهمان، *معجم*، 51؛ الخطيب، 119؛ طرخان، 476_477).

(44) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 524_525، *الخطط*، 373/3؛ عاشور، *الأيوبيين*، 369؛ طرخان، 163.

(45) عاشور، *الأيوبيين*، 369؛ طرخان، 163.

(46) الصفدي، *تحفة*، 232/2؛ الكتبي، 252/1.

وبمرور الوقت حظي تنكز الحسامي بمكانة عالية في البلاط الناصري حتى بات الناصر لا يرفض له طلبا، وكان السلطان لا يفعل شيئا حتى يشاوره فيه، وقلما كتب إلى السلطان في شيء فرده[48].

وبعد النجاح الباهر الذي أحرزه تنكز في حملته الشهيرة على ملطية عام715هـ/1315م[49]، عظم شأنه عند الناصر وهابه الأمراء بدمشق ونواب الشام، ولم يزل في ارتقاء حتى كتب له: ((أعز الله أنصار المقر[50] الكريم أو ((المقر الشريف))، العالي الأميري، وفي الألقاب الأتابكي، الزاهدي[51]، العابدي[52]، وفي النعوت: ((معز الإسلام والمسلمين[53] سيد الأمراء في العالمين))[54]، وهذا لم يكتب عن سلطان لنائب ولا غير نائب على اختلاف الوظائف[55].

وحينما قام الناصر بتعيين تنكز نائبا على دمشق عام 712هـ/1312م، حرص على توصيته بأن يتشاور مع كبار الأمراء المماليك هما: الأمير سيف الدين أرقطاي والأمير حسام الدين طرنطاي البشمقدار[56](5)، وذلك رغبة من الناصر في أن يكون تنكز كفؤاً للمنصب الكبير الذي أنيط به وما ترتب عليه من مسؤوليات جسام، إذ كان الناصر محمد على أتم الإدراك بأن الخبرة لا تأتي إلا عن طريق الممارسة والاحتكاك، ومن هنا جاء حرصه على أن يسقي تنكز الخبرة من منبعها السليم[57].

---

(47) ابن تغري بردي، *النجوم*، 30/9.

(48) الجزري، 177/2؛ الكتبي، 252/1؛ ابن صصرى، 183؛ المقريزي، *المقفى*، 619/2؛ ابن حجر، 521/1؛ ابن تغري بردي، *المنهل* 166/4؛ ابن إياس، 1/ ق1، 480؛ ابن طولون، 13؛ الشوكاني، 170/1؛ الحجي، 13_14.

(49) أبو الفداء، *المختصر*، 418/2؛ مجهول، 150؛ ابن الوردي، 375/2؛ الكتبي، 252/1؛ الصفدي، الوافي، 421/10؛ ابن كثير 58/14؛ ابن حبيب، *درة*، 1/2أ، *تذكرة*، 65/2؛ ابن خلدون، 442/5؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق1، 142، *المقفى* 609/2؛ ابن حجر 521/1؛ ابن تغري بردي، *المنهل*، 158/4؛ ابن إياس، 1/ ق1، 426؛ النعيمي، 186/2.

(50) المقر: لقب مملوكي ذكر عنه القلقشندي ما يلي: ((قال في عرف التعريف: ويختص بكبار الأمراء وأعيان الوزراء وكتاب السر ومن يجري من مجراهم كناظر الخاص وناظر الجيش وناظر الدولة وكتاب الدست ومن في معناهم، أما ابن شيث فيذكر في ((معالم الكتابة)) أنه من الألقاب المملوكية كالمقام بل جعلها على حد واحد في ذلك، قال في: ((عرف التعريف)) ويقال فيه ((المقر الأشرف، والمقر الشريف العالي)) و((المقر الكريم العالي)). (القلقشندي، 463/5_464).

(51) الزاهد: من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وهو في اللغة خلاف الراغب، والمراد هنا من أعرض عن الدنيا فلم يلتفت إليها، والزاهدي نسبة إليه للمبالغة. (القلقشندي، 13/6؛ البقلي، 169؛ الباشا، 309).

(52) العابد: من ألقاب الصوفية وأهل الصلاح، وهو فاعل من العبادة وهي الطاعة وربما استعمل في أرباب السيوف والأقلام أيضا لاتصاف متصف منهم بذلك أو وقوعه أولاً على متصف به منهم ثم لزومه من بعده من أهل تلك المرتبة كما في نائب الشام.(القلقشندي، 19/6؛ البقلي، 237؛ الباشا، 387).

(53) معز الإسلام والمسلمين: المعز كان نعتا خاصة لجماعة من أهمهم معد أول الخلفاء الفاطميين بمصر الذي نعت بالمعز لدين الله الفاطمي، وكذلك أيبك التركماني أول من ولي مصر من المماليك، وقد أضيف إليها بعض كلمات لتكوين ألقاب مركبة، مثل هذا اللقب وهو من ألقاب النائب الكافل ومن في معناه، وهو من أعلى الألقاب في الرتبة وذلك لأنه يقوم مقام الركن وفيه معنى العز والقوة. (القلقشندي، 71/6، 101، 110، 171؛ البقلي، 315).

(54) سيد الأمراء في العالمين: من ألقاب أكابر أرباب السيوف كنواب السلطنة ونحوهم وربما كتب به لبعض الملوك عن الأبواب السلطانية وهو أعلى ألقاب العسكريين، وورد مع مرتبة ((المقر الشريف))، وهو من الألقاب المركبة وأورده شهاب الدين الفارقي في دستوره عن نائب الشام. (القلقشندي، 56/6، 104، 127؛ البقلي، 187).

(55) الكتبي، 252/1؛ الصفدي، الوافي، 421/10، *تحفة*، 233/2؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 462، *المقفى*، 615/2؛ ابن إياس، 1/ ق1، 480.

(56) الصفدي، الوافي، 420/10_421؛ الكتبي، 251/1_252؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق1، 118، *المقفى*، 608/2؛ ابن حجر، 520/1.

(57) الحجي، 14.

ويمكننا أن نتبين أهمية المنزلة التي تمتع بها تنكز الحسامي في البلاط الناصري حينما كتب السلطان في عام714هـ/1314م((لنائب حلب، وحماة، وحمص، وطرابلس، وصفد بأن أحدا منهم لا يكاتب السلطان، وإنما يكاتب الأمير تنكز نائب الشام، ويكون تنكز هو المكاتب للسلطان في أمرهم[58]))، فشق ذلك على النواب، وأخذ الأمير سيف الدين بلبان طُرنا[59]نائب صفد ينكر ذلك، فكاتب فيه تنكز حتى عزل، واستقر عوضه الأمير بلبان البدري[60](1)، ((وحمل بلبان طرنا مقيداً إلى مصر، وسجن بالقلعة[61]))).

ومما يدل على سمو المكانة التي تمتع بها الأمير تنكز في البلاط الناصري أنه بعد استقراره نائبا في دمشق، بنى لنفسه فيها جامعاً، وقد تم تجديد هذا الجامع سنة 718هـ/1318م بأمر السلطان الناصر شخصيا[62]، وبلغت مكانة تنكز الرفيعة عند الناصر، حتى أنه لما حج في عام721هـ/1321م[63]، أقام عنه بيبرس الحاجب[64] نائب غيبة، وكانت مدة غيبته للحج ثلاثة أشهر[65]، وعندما عاد إلى دمشق في أوائل محرم سنة 722هـ/كانون ثاني 1322م، أرسل السلطان الناصر له الهدايا والخلع[66]، ويقال أنه قدم القاهرة بعد حجه، فأمر السلطان الأمراء أن يهادوه، فكانت جملة ما قدم له ثمانين ألف دينار[67].

بالإضافة إلى ذلك يذكر المقريزي ضمن حوادث سنة 722هـ/1322م أنه((في يوم الأربعاء تاسع عشر رجب قدم الأمير تنكز، نائب الشام باستئذان، فأنعم عليه السلطان إنعامات جليلة بلغت قيمتها نحو ثمانين ألف دينار، ورسم لسائر الأمراء بحمل تقادمهم إليه، وأن من أحضر تقدمة يخلع على محضرها من الخزانة السلطانية، فحملت إليه

---

(58) الشجاعي 55أ_55 ب؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق1، 137، *المقفى*، 608/2؛ ابن حجر، 521/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 32/9؛ الشوكاني، 170/1؛ سرور، 51. .115 – 114 Holt

(59) بلبان طُرنا: أمير جندار، كان حسن الشكل جسيما مقداما شجاعا، ثم ولي نيابة صفد، ثم اعتقل سنة714هـ/1314م بسعاية تنكز إلى سنة 726هـ/1325م، ثم أفرج عنه واستقر في إمرة طبلخاناه بدمشق، ثم أعطي تقدمة، واستقر أميرا عنده واختص به، توفي عام 734هـ/1333م.

(ابن كثير، 135/14_136؛ المقريزي، *المقفى*، 487/2؛ ابن حجر، 494/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 224/9).

(60) بلبان البدري: هو الأمير سيف بلبان بن عبد الله البدري، أحد مقدمي الألوف بدمشق، حج بالناس عام 707هـ/1307م وولي نيابة قلعة دمشق، ثم نيابة صفد بعد بلبان طرنا، ثم نيابة حمص، توفي في يوم عيد الفطر عام727هـ/1326م وقد خلف مالاً كثيراً يقال أن الذهب منه كان ثلاثين ألف دينار، وكان شجاعاً، مهيباً، عاقلاً، سليم الباطن.

(ابن حجر، 492/1_493؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 194/9).

(61) مجهول، 162؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق1، 137؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 32/9؛ .115 ,Holt

(62) ابن الوردي، 379/2؛ الكتبي، 252/1؛ ابن كثير 70/14؛ المقريزي، *السلوك* 2/ ق1، 184، *المقفى* 609/2؛ ابن حجر، 522/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 48/9؛ النعيمي، 327/2_328؛ دهمان، *ولاة*، 168؛ العلبي، 278، 281، 316.

(63) أبو الفداء، *المختصر*، 438/2؛ ابن كثير80/14؛ ابن حجر، 523/1؛ الشوكاني، 171/1.

(64) بيبرس الحاجب كاز: هو الأمير بدر الدين، كان أمير آخور ثم صار حاجباً بعد رجوع الناصر من الكرك، ثم جرد إلى اليمن سنة 725هـ/1324م وجهز قبل ذلك بعد عودة الناصر من الحج للإقامة بمكة عوضا عن آقسنقر، حفظا لعطيفة لئلا يهجم عليه حميضة، وناب في الغيبة عن نائب دمشق لما حج في سنة721هـ/1321م، ثم اعتقل مدة بالإسكندرية، فلما كان في سنة 735هـ/1334م ولي نيابة حلب ثم استقر أميرا بدمشق سنة739هـ/1338م، ولم يزل بها إلى أن توجه الفخري صحبة الناصر أحمد فجعله أمين الغيبة عنه بدمشق، ثم أسن، ومات في رجب سنة 743هـ/تشرين الثاني1342م.

(الصفدي، الوافي، 351/10، *تحفة*، 244/2_245، 246؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 637؛ ابن حجر، 518/1).

(65) ابن كثير، 81/14.

(66) المصدر نفسه، 81/14.

(67) ابن حجر، 523/1؛ الشوكاني، 171/1.

تقادم جليلة، منها أربعون سلسلة ما بين ذهب وفضه، وحمل كريم الدين الكبير[68]تقدمة عشرة آلاف دينار، وعاد تنكز_بعد إقامته خمسة أيام _

على البريد، في يوم الاثنين رابع عشريه، ودخل دمشق أول شعبان[69]".

كذلك عندما قدم الأمير تنكز إلى القاهرة في محرم سنة 730هـ/تشرين أول سنة 1330م"بالغ السلطان في إكرامه ورفع منزلته على عادته[70]"، وحينما أراد تنكز مغادرة القاهرة عائدا إلى دمشق "أنعم عليه السلطان بمائة ألف درهم وكتب له على الأعمال السامية بمائة ألف أخرى[71]".

ونتيجة لذلك كله يتفق مؤرخو العصر المملوكي أن تنكز الحسامي استطاع خلال سنوات قليلة أن يصبح أقرب الناس إلى قلب السلطان الناصر[72].

ويلاحظ بأن الصلاحيات التي حصل عليها الأمير تنكز لم يحصل عليها نائب سابق لدمشق أو نيابات الشام الأخرى[73]، فقد تعدت هذه الصلاحيات نيابة دمشق إلى نيابات الشام الأخرى، وذلك لأن الناصر"جعل له الولاية على سائر الممالك الإسلامية"، بل "ومشارفاً لسائر بلاد الروم[74]".

وهكذا استطاع تنكز الحسامي عن طريق العمل المتواصل والتفاني في الإخلاص للناصر محمد والاجتهاد في خدمة الدولة والاهتمام البالغ في القيام بكافة مسؤولياتها أن يصل إلى هذه الرتبة العالية في البلاط السلطاني، بل يمكننا أن نتصور أنه أصبح الحاكم بأمره في بلاد الشام كلها بكافة أقاليمها وولاياتها، حيث أطلق الناصر محمد يده في إدارة مختلف شؤونها السياسية والعسكرية والمدنية، وخضع له نواب الولايات الشامية خضوعا مطلقا، ودانوا له بالطاعة والولاء [75]، وليس أدل على ذلك من قول الصفدي بأن الأمير تنكز "عظم شأنه وهابه الأمراء بدمشق والنواب بالشام وأمّن الرعايا وأهل البر... ولم يزل في علو وارتقاء مكانه في كل سنة إلى أن أمسك ...[76]"، "وكان السلطان لايفعل شيئاً من الأمور حتى يشاوره ويأخذ رأيه فيه...[77]"، و"مهما قرره"تنكز" من إمرة ونيابة ووظيفة وإقطاع وغير ذلك ترد التواقيع السلطانية بإمضائها[78]".

---

(68) كريم الدين: هو الأمير كريم الدين بن هبة الله المسلماني، أسلم كهلاً أيام بيبرس الجاشنكير، ورد عن كريم الدين أنه كان عاقلاً ذا هيبة، عمر بالزربية جامعاً وميضأة وأصلح الطرق، وعمر بدمشق جامع القبيبات، واشترى له نهر ماء بخمسين ألفاً، وجامع القابون وأوقف عليهما الأوقاف، حظي بمكانة مرموقة عند السلطان الناصر، ثم انحرف عليه الناصر ونكبه، وقبل ذلك أقام في بيت سيف الدين أرغون ثلاثة أيام، ثم نقل إلى الشوبك ثم إلى القدس، ثم طلب إلى مصر وجهز إلى أسوان وأصبح مشنوقا في أحد أيام عام 724هـ/1323م. (الكتبي، 2/377_383؛ ابن كثير، 14/93_94؛ ابن حجر، 2/401_404).

(69) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق1، 237.

(70) الجزري، 2/379؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 317؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 9/74.

(71) الجزري، 2/379؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 317.

(72) الشجاعي، 31أ_33ب؛ الصفدي، *تحفة*، 2/234_235؛ ابن خلدون، 5/442؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 317، 321، 333، 344، 371؛ ابن حجر، 1/521_523؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 9/30، 32، 47، 49، 80، 93، 98_99، 149؛ الشوكاني، 1/170.

(73) الشجاعي، 55أ.

(74) ابن خلدون، 5/426، 442.

(75) الحجي، 20.

(76) الصفدي، *تحفة*، 2/232_233.

(77) الشجاعي، 55ب؛ الصفدي، الوافي، 10/422، *تحفة*، 2/233_234؛ الكتبي، 1/252؛ ابن خلدون، 5/442؛ ابن حجر، 1/521؛ ابن تغري بردي، *المنهل*، 4/167؛ ابن طولون، 13.

(78) الصفدي، الوافي، 10/422؛ الكتبي، 1/252.

ويمكننا القول بأن بلاد الشام أصبحت في نيابة تنكز الحسامي ولاية مستقلة بوضعها الإداري حيث حكم تنكز هذه الولاية بسلطة مطلقة، وصلاحيات واسعة في الإدارة والحكم والعلاقات الداخلية مع بقية الولايات الشامية، فأحسن تنكز استغلال هذه السلطات غير المحدودة إلى أقصى درجة حتى غدت بلاد الشام في السنوات العشر الأخيرة من نيابته ولاية قائمة بذاتها من كافة النواحي الاجتماعية والعسكرية والاقتصادية والإدارية، ولا يربطها بالحكومة المركزية في البلاط الناصري سوى روابط التبعية الرسمة والولاء الصادق، وهذا وحده يكفي إذا ما عرفنا طبيعة شخصية تنكز الحسامي وحرصه البالغ على خدمة هذه الولاية طالما كانت هذه الخدمة تؤدي في النهاية إلى تدعيم كافة صلاحيات الحكم والسلطة لدى الناصر محمد[79]، ولشدة حرصه على تدعيم شؤون الحكم والإدارة، فقد ((كان يمشي بنفسه في الليل على الطرق والأسواق ويأمر بتوسعة ما يراه ضيقا وما يصبح ذلك المكان إلا والصناع تعمل فيه[80]))).

ولعل إدراك الناصر محمد لوجود هذا الحرص الصادق عند تنكز من أجل تأكيد سلطانه من أهم الأسباب التي أدت إلى توثيق الروابط بينهما لما فيه مصلحة الهدف المشترك[81][(3)]، ((فحصل له بذلك عند السلطان اليد العظمى والرتبة العليا وحكّمه بالشام جميعه تحكيما لم يحصل لغيره، ورسم لنواب الأقاليم الكبار كي يطالعوه بأحوالهم وما يتجدد لهم، وهو يطالع بها السلطان ...وحصل له من مولانا السلطان التبجيل العظيم بحيث أنه إذا سأل أمرا لا يرد عليه وإذا فصل حكما لا ينكر عليه، وإذا أشار بأمر فمندوب إليه، ومهما شاء فعل بالشام لايرد بها من أحكامه ولا ينقص إبرامه[82])).

ولذلك يلاحظ أن تنكز حصل له من المال والجاه والسلطات التي أهلته لأن يصبح أعظم رجل في الدولة بعد السلطان، بل كاد يكون في منزلة السلطان نفسه في سعة النفوذ وعلو المكانة وشدة المهابة[83][(5)].

ويؤكد مؤرخو العصر المملوكي بشكل قاطع لايدع سبيلا للشك أن الترحيب السلطاني بزيارات تنكز الحسامي للبلاط الناصري، كان يزداد بمرور السنوات حيث كان نائب الشام يحظى في كل مرة يقدم فيها إلى القاهرة بترحيب أعمق ووفادة أكبر وكرم أوفر مما حظي به في الزيارة السابقة[84].

وفي الحديث عن زيارات تنكز الحسامي إلى البلاط الناصري، وما كان يحصل عليه أثناء ذلك من حسن الوفادة وعظيم الكرم يذكر المؤرخون بهذا الصدد ما نصه: ((وكان يتردد على القاهرة

بإذن السلطان فيبالغ في إكرامه واحترامه))، حتى أن الذي خصه به في زيارته سنة733هـ/1332م، مبلغ ألف ألف وخمسين ألفاً خارجاً عن الخيل والسروج[85].

كذلك تجدر الإشارة إلى أن الناصر محمد كان حريصا على دعوة تنكز الحسامي إلى زيارة القاهرة في مختلف المناسبات، كمناسبات الزواج الخاصة بالسلطان الناصر وأسرته، فيذكر المؤرخون بهذا الصدد، أن الأمير تنكز

---

(79) الحجي، 20.

(80) الصفدي، *تحفة* 233/2؛ ابن حجر، 523/1؛ ابن طولون، 13.

(81) الحجي، 20.

(82) الشجاعي، 55أ_55ب.

(83) دهمان، *ولاة*، 161.

(84) الشجاعي، 31أ_33ب، 56أ_56ب؛ الصفدي، الوافي، 422/10، *تحفة*، 234/2؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق1، 237، *المقفى*، 610/2؛ ابن حجر، 522/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 74/9؛ ابن إياس، 1/ ق1، 469؛ الشوكاني، 170/1؛ الحجي، 23.

(85) الصفدي، *تحفة*، 234/2؛ المقريزي، *السلوك* 2/ ق2، 356، 359؛ *المقفى*، 612/2؛ ابن حجر، 522/1؛ الشوكاني، 170/1.

الحسامي قام في عام732هـ/1331م بزيارة القاهرة، وذلك لحضور عرس ابن السلطان الناصر الأمير أنوك[86]، ((وشرع السلطان في عمل ألمهم من أوائل شعبان 732هـ/نيسان1331م وجمع من بالقاهرة ومصر من أرباب الملاهي، واستمر المهم سبعة أيام بلياليها، واستدعى حريم الأمراء للمهم، فلما كانت ليلة السابع منه حضر السلطان على باب النصر، وتقدم الأمراء على قدر مراتبهم واحد بعد واحد ومعهم الشموع))، وكان معهم تنكز الحسامي، فلما كان الغد((خلع على الأمير تنكز نائب الشام وجهز صحبته الخلع لأمراء دمشق[87]))).

ويمكن القول أنه بلغ من تقدير السلطان الناصر محمد لتنكز أن تزوج ابنته وأنجبت له ابناً، الأمر الذي رفع من مكانة تنكز في البلاط السلطاني[88].

ولم تقف الأمور عند حد ارتفاع مكانة تنكز عند السلطان، بل أن مكانة أبنائه محمد وأحمد ارتفعت أيضا، فقد شملهم الناصر بعطفه كما شمل والدهم من قبل، حيث جعلهم في مرتبة أمراء في حياة والدهم[89](5)، وتمتعوا بالمنزلة العالية في البلاط الناصري مما يبرهن على عمق المودة التي كان السلطان يحملها لتنكز الحسامي في نفسه، فأغدق عليه الثروة والألقاب والمناصب بغير حدود، ولعل التفسير الوحيد لهذه الخطوة التي توفرت لتنكز دون غيره من أقرانه من كبار الأمراء هو طبيعة شخصية تنكز الفريدة بما انطوت عليه من العمل بإخلاص ووضوح صريحين، إلى جانب نشاطه الغير محدود في بذل الجهود الكبيرة في خدمة الصالح العام لسلطنة المماليك دون تهاون أو تقاعس[90].

ونتيجة لهذا الاحترام والمكانة الرفيعة التي تمتع بها تنكز وأبنائه عند الناصر فقد كان
الأمراء المماليك في مصر والشام بمن فيهم خاصكية الناصر يهابونه[91].

ويؤكد المؤرخ المعاصر ابن أيبك الدواداري ما كان الناصر محمد يكنه لتنكز الحسامي في نفسه من مشاعر الود والتقدير، حيث كان يدخل عليه قبل دخول الأمراء[92].

ومن الأمثلة على الحفاوة البالغة التي حظي بها تنكز عند الناصر، ما حدث له عام 737هـ/1336م، إذ أرسل إليه السلطان أن يحضر بأولاده وأهله لعمل عرس الأمير أبي بكر[93] ابن السلطان على ابنة الأمير طقز تمر[94]،

---

(86) أنوك: هو الأمير أنوك بن محمد بن قلاوون، سيف الدين ابن الناصر ابن المنصور، ولد في رجب سنة 723هـ/تموز1323م، أمره أبوه مائة، وقدمه على إخوته وهم أسن منه مثل أبي بكر وإبراهيم وأحمد، فكانوا أربعينات، وزوجه بنت بكتمر الساقي، توفي في ربيع الأول عام 740هـ/أيلول1339م بسبب مرض أصابه، وحزن عليه والداه حزناً عظيماً، وجد له في يد خازنداره ستمائة ألف دينار سوى أصناف المتاجر والغلال، وكان يحب اقتناء البقر والإوز والبط. (الذهبي، *دول*، 246/2؛ ابن الوردي، 468/2؛ الصفدي، الوافي 431/9_433؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 513؛ ابن حجر، 418/1).

(87) الجزري، 524/2_525؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 79/9_80.

(88) الشجاعي، 56أ؛ ابن صصرى، 183؛ ابن طولون، 13. .115 ,Holt

(89) الصفدي، الوافي، 423/10؛ المقريزي، *المقفى*، 619/2؛ ابن حجر، 522/1؛ الشوكاني، 171.

(90) الحجي، 24.

(91) الصفدي، الوافي، 423/10.

(92) ابن أيبك، 380/9.

(93) أبو بكر بن الناصر: هو أبو بكر بن محمد بن قلاوون، ولي السلطنة بعد أبيه بعهدة منه له في مرضه في ذي الحجة سنة 741هـ/أيار 1340م واستقر حموه طقز تمر نائب السلطنة، والوزير محمود بن شرف بن ربيع في الوزارة، والمنصور هذا هو الثالث عشر من ملوك الترك بديار مصر، وقد تحالف بعض المماليك ضده وتمكنوا من خلعه وتعيين أخوه الأشرف علاء الدين كجك في صفر سنة 742هـ/تموز1341م وقتل أبو بكر في هذا العام عن عشرين عاماً، فكانت مدة ملكه على مصر تسعة وخمسين يوما.(ابن حجر، 462/1_464؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 3/10، 13_14).

واحتفل السلطان لقدومه احتفالا زائدا، وكان عادته أن يصرف عليه إذا قدم مبلغ خمسين ألف دينار ما بين خلع وإنعام، فرسم أن يكون في هذه السنة مبلغ سبعين ألف دينار، ثم خرج السلطان لملاقاته ونزل قصر سرياقوس[95](5)، حتى سقط الطائر بنزول الأمير تنكز إلى الصالحية[96]، فأرسل السلطان الناصر أحد كبار الأمراء ويدعى قوصون للقائه ومعه كافة الأطعمة والأشربة، وأقبل حتى دنا من سرياقوس فركب السلطان إليه ومعه أولاده لاستقباله، حيث استقبله هناك بحفاوة بالغة ((ولم يسمع عن ملك أنه فعل مع مملوكه من التعظيم ما فعله السلطان في هذا اليوم مع الأمير تنكز))[97](7). ويبدو أن هذه الزيارة لفتت أنظار المؤرخين المعاصرين لتلك الحقبة، فالجزري يعقب على استقبال الناصر لتنكز الحسامي في هذه الزيارة بقوله: ((و زاد في إكرامه بخلاف العادة))[98](8).

كما تكررت زيارة تنكز للسلطان في القاهرة في العام التالي(738هـ/1337م) وذلك لحضور الاحتفال الذي أقامه الناصر بمناسبة ولادة ابنة الأمير تنكز ((زوجة الناصر))، ولداً حيث سماه الصالح[99].

وتعتبر زيارة الأمير تنكز الحسامي للقاهرة عام739هـ/1338م، مثالاً لأقصى ما يمكن أن يحصل عليه أي شخص في البلاط السلطاني من الحفاوة الشاملة والتكريم البالغ، الأمر الذي جعل مؤرخي العصر المملوكي يكتبون بإسهاب ودون ملل عن هذه المظاهر غير العادية، وفي هذه الزيارة التي قام بها تنكز للسلطان الناصر كان المؤرخ الصفدي مرافقا لتنكز، حيث يتحدث عن خروج السلطان إلى بير البيضاء [100]لاستقبال تنكز وتلقاه بأولاده وأمرائه وأنزله في قصر بكتمر الساقي بسرياقوس، أما الأمير قوصون، فكان قد تلقاه في الصالحية، وكان السلطان قد أرسل بعض الأمراء من القاهرة إلى الطريق الموصلة إليها لحراستها أثناء مرور موكب الأمير تنكز بها، وذلك خوفا من مضايقته من قبل اللصوص أو قطاع الطرق، ثم استقبله الناصر وخاصكيته استقبالا حافلاً[101].

ويشير بعض المؤرخين إلى تفاصيل هذه الزيارة، ويذكرون أن سبب زيارة الأمير تنكز للقاهرة في عام 739هـ/1338م هو اقتراب ولادة زوج السلطان فأرسل السلطان إلى تنكز يطلب منه الحضور إلى القاهرة للمشاركة في الاحتفال الذي سيقيمه بمناسبة ولادة زوجته، فتجهز تنكز وعبر لمصر هو وولديه ((محمد وأحمد))، أما الناصر محمد، فقد خرج إلى سرياقوس ينتظر قدوم تنكز، ولما علم باقتراب وصوله ركب وخرج من سرياقوس لملاقاته، وسير أولاده

---

(94) طقزتمر: هو الأمير سيف الدين الناصري، كان في بداية أمره من مماليك المؤيد إسماعيل صاحب حماة، قدمه للسلطان الملك الناصر، فحظي عنده، وجعله ساقيا، ولم يزل معظما في كل طبقة لعقله وسكونه وعدم شره، ثم رقاه حتى صار أمير مائة، ومقدم ألف بالديار المصرية، وزوج ابنتيه بولديه المنصور والصالح إسماعيل، ولم يزل معظما في دولة الناصر إسماعيل إلى أن مات، عين نائباً على عدة نيابات في الشام، كحماة، وحلب، ودمشق، فاستمر بها إلى سلطنة الكامل شعبان، فأحضره إلى مصر وهو مريض فقدمها في جمادى الأولى عام 746هـ/آب1345م، فمات بمصر في جمادى الآخرة عام 746هـ/أيلول1345م.(الصفدي، *تحفة*، 260/2_262، الوافي، 245/16؛ ابن كثير، 174/14؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 687، 698؛ ابن حجر، 225/2؛ ابن تغري بردي، *النجوم* 114/10_115؛ السخاوي، 20/1؛ ابن إياس، 1/ ق1، 507؛ ابن طولون، 18).

(95) سرياقوس: بليدة في نواحي القاهرة بمصر.(ياقوت، 246/3؛ القزويني، 195).

(96) الصالحية: محطة من محطات البريد بين غزة والقاهرة، وتقع بين محطتي بئر الوايلي وبئر عفرى. (العمري، 273؛ القلقشندي، 423/14).

(97) الجزري، 930/3؛ اليوسفي، 363_364؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 417؛ ابن حجر، 523/10.

(98) الجزري، 930/3؛ الكتبي، 254/1.

(99) مجهول، 95؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 432_433؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 93/9_94.

(100) بيرالبيضاء: محطة من محطات البريد بين القاهرة وبلبيس. (العمري، 272؛ القلقشندي، 422/14).

(101) مجهول، 199_200؛ الصفدي، الوافي، 427/10، 428، *تحفة* 234/2_236؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 460_461، *المقفى*، 613/2؛ ابن حجر، 523/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 98/9.

لملاقاة تنكز، حيث سبقوه، كما طلب من الأمير قوصون أن لاينزل تنكز عن فرسه حتى يصل إلى السلطان، ثم وصل تنكز بصحبة الناصر إلى القلعة وسلم على ابنته(زوج السلطان)، كما سلمت بنات الناصر على تنكز وقبلن يده، وأنعم عليه السلطان من الخيل وتعابي القماش ما قيمته مائة وعشرين ألف دينار، وكانت مدة إقامته في مصر هذه المرة قرابة شهرين، وكان راتبه في كل يوم أربعة آلاف درهم نقرة[102].

وقرر الناصر في زيارة تنكز هذه _والتي تعد الأخيرة بالنسبة لزياراته للسلطان _أن يزوج اثنتين من بناته لأبناء الأمير تنكز وهما: أحمد ومحمد[103]، وذلك بعد أن رقاهم إلى مرتبة الإمرة[104]، فعقد لبنتي السلطان على أولاد تنكز في بيت الأمير قوصون بحضور القضاة والأمراء، وأمر بأن يحمل مهرهن من خزانة الدولة[105].

وكان قرار السلطان تزويج اثنتين من بناته لأولاد تنكز لرغبته في توطيد العلاقات بين الأسرتين وتدعيم روابط النسب والمصاهرة، ولعل الناصر محمد في قراره هذا كان يخطط في سبيل تأكيد مكانة تنكز بين أسرة قلاوون، فإذا توفي الناصر محمد كان تنكز خير وصي يمكن أن يأتمنه الناصر محمد كي يأخذ بيد أولاده في الحكم، فيهيئ لهم سلطة متينة ثابتة، ويحول دون طمع كبار الأمراء المماليك في الحكم والجلوس على كرسي السلطنة.

وفي هذا وحده تعبير صادق عن الثقة الكبيرة التي يحملها الناصر محمد لتنكز الحسامي، وإيمانه العميق بصدقه وإخلاصه، وأنه لابد سيتفانى في خدمة ولي عهد الناصر محمد حينما يتولى زمام الأمور في السلطنة، ونستطيع أن نقدر هذه الرغبة الشخصية للناصر إذا ما عرفنا أنه شهد في فترات حكمه الثلاث سلسلة طويلة من المؤامرات التي نجحت أكثر من مرة في الإطاحة بحكمه، وتسلطن أمير آخر، وكان الناصر على إدراك تام بأن هذا سيلحق بأولاده إن عاجلا أم آجلا، فأراد أن يمهد لهذا الأمر بتأكيد وضع تنكز بين أفراد أسرة قلاوون، خاصة وأنه يعلم أن تنكز خير معين له، ولأولاده من بعده[106].

كما أن الناصر وفي زيارة تنكز الحسامي إليه عام 739هـ/1338م أعطاه تفويضا بحكم الشام جميعه دون الرجوع إليه، وأن يكاتبه نواب الشام بمثل ما يكاتبون به السلطان، حيث يقوم تنكز بدوره بمكاتبة السلطان في مهماتهم[107].

وكانت هذه الزيارة هي الأخيرة في سلسلة زيارات تنكز إلى مقر السلطان الناصر في القاهرة، وقد بلغت اثنتي عشرة زيارة[108].

ويعلق أحد المؤرخين على هذه الزيارة بقوله ((وكانت هذه نهاية سعادة تنكز))[109]، أما البعض الآخر من مؤرخي العصر المملوكي فيعلقون على ذلك بالقول: ((وكان من إكرامه له في هذه السفرة ما لا عهد من ملك مثله))[110].

---

(102) المنصوري، 131/10_132؛ الشجاعي، 31أ_33ب؛ الصفدي، الوافي، 427/10_428؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 460 _461، *المقفى*، 613/2_615؛ ابن حجر، 523/1_525؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 98/9_99.

(103) المنصوري، 131/10_132؛ الشجاعي31ب_32أ؛ ابن صصرى، 183؛ ابن خلدون، 442/5؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 461، *المقفى*، 613/2؛ ابن حجر، 523/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 98/9؛ Holt.،115

(104) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 461.

(105) المنصوري، 131/10_132؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 461، *المقفى* 614/2؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 98/9_99.

(106) الحجي، 30.

(107) الشجاعي، 55أ_55ب؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 462، *المقفى*، 614/2؛ ابن حجر، 524/1؛ Holt. 115.

(108) مجهول، 172، 175، 177، 179، 181، 183، 185، 186، 188، 193، 199.

(109) المصدر نفسه، 199.

(110) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 461، 462؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 98/9.

الخلاف بين الأمير تنكز والسلطان الناصر محمد:

يلاحظ أن العلاقة الوثيقة التي ربطت الأمير تنكز الحسامي بالناصر طيلة الثلاثة عقود التي حكم فيها تنكز في الشام، سرعان ما تدهورت في نهاية الأمر، ويتحدث ابن حجر عن طبيعة المكانة التي تمتع بها تنكز في السلطنة المملوكية، حتى أن جيرانه من الأرمن والمغول أخذوا يهابونه، حيث((كان يتوجه في كل سنة إلى الصيد، وربما عدّ((أي عبر)) الفرات[111] وتصيد في ذلك البر أياما، وكان أهل تلك البلاد ينجفلون قدامه إلى تبريز[112][2]والسلطانية[113]وماردين[114] وسيس[115][116]))).

ويضيف ابن خلدون أن وجود تنكز الحسامي في الشام كان يثير الخوف في نفوس أولئك الجيران، فنشطوا في الفتنة بينه وبين الناصر محمد، من ذلك قوله: ((ولما توفي أبو سعيد[117]وانقرض ملك بني هولاكو، وافترق أمر بغداد، وكانا معاً يجاورانه ويستنجدانه، سخطه بعضهم، فراسل السلطان بغشه وأدانه في طاعته وممالأة أعدائه))[118].

ولاشك أن لهذا الأمر كان أثر كبير في نفس الناصر الذي كان دائم التخوف من نجاح أحد كبار الأمراء في الإطاحة بحكمه، ولذا كان ينتهج في السنوات الأخيرة من حكمه سياسة متطرفة في القبض على كبار الأمراء والنواب وحكام الأقاليم والولايات المملوكية دون هوادة[119].

ويلاحظ أن الناصر قلاوون كان ينتهج سياسة واضحة بخصوص نواب المملكة تتمثل في إضعاف كل أمير تقوى شوكته، فيذكر الشجاعي بهذا الخصوص نصاً يبين موقف الناصر من تنكز بعد القيض عليه، إذ يقول: ((..

---

(111) الفرات: في أصل كلام العرب أعذب المياه، قال عز وجل ((هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج))، وهو نهر مخرجه من أرمينية ثم من قاليقا قرب خلاط ثم يدخل أرض الروم فيخرج إلى ملطية ثم إلى سميساط حتى ينتهي إلى قلعة نجم مقابل منبج ثم يحاذي بالس إلى دوسر إلى الرقة إلى رحبة مالك بن طوق ثم إلى عانة، وعند واسط يلتقي مع دجلة مشكلان نهراً واحداً عرضه نحو الفرسخ، ثم يصب في بحر الهند. (ياقوت، 274/3).

(112) تبريز: أشهر مدن أذربيجان، وهي مدينة عامرة حسناء ذات أسوار محكمة بالآجر والجص، وفي وسطها عدة أنهار جارية والبساتين محيطة بها والفواكه بها رخيصة.(ياقوت، 15/2؛ القزويني، 339؛ القلقشندي، 358/4؛ الحميري، 130، 143).

(113) السلطانية: نسبة إلى السلطان، واسمها قُنْغُرْلان، وهي عن تبريز في سمت المشرق بميلة يسيرة إلى الجنوب على مسيرة ثمانية أيام منها، وهي مدينة محدثة، ((بناها خربندا بن أرغون بن أبغا بن هولاكو، على القرب من جبال كيلان، على مسيرة يوم منها، وجعلها كرسي مملكته، ومياهها قني، قليلة البساتين والفواكه، وإنما تجلب إليها الفواكه من البلاد المساقبة لها)).(القلقشندي، 359/4)

(114) ماردين: قلعة مشهورة على قمة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين. (ياقوت، 64/5؛ القزويني، 259_260؛ الحميري، 518).

(115) سيس: ذكرها ياقوت باسم سيسية: وعامة أهلها يقولون سيس، وهي أعظم مدن الثغور الشامية بين إنطاكية وطرسوس، وبها مسكن ابن ليون سلطان تلك الناحية الأرمني، وهي بلدة كبيرة ذات قلعة بأسوار ثلاثة على جبل مستطيل ولها بساتين ونهر صغير. (ياقوت، 338/3؛ أبو الفداء، *تقويم*، 256_257).

(116) ابن حجر، 523/1.

(117) أبو سعيد: ويقال له بو سعيد بن محمد بن خربندا (أولجيتو)بن أرغون بن أبغا بن هولاكو المغولي ملك الشرق (العراق والجزيرة وأذربيجان وخراسان وبلاد الروم وأطراف ممالك ما وراء النهر)، توفي دون عقب عام736هـ/1335م بعد أن حكم عشرين عاما وبموته انقرض حكم بني هولاكو وصار الأمر في العراق لسواهم. (الجزري، 863/3؛ الذهبي، *ذيول*، 104/4، *سير*، 514/17؛ الصفدي، الوافي322/10_323؛ ابن كثير، 141/14؛ ابن حبيب، *تذكرة*، 271/2_272؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 404؛ ابن حجر، 137/2).

(118) ابن خلدون، 442/5.

(119) الحجي، 33.

وكان الموجب لذلك أن السلطان الملك الناصر، كان من عادته وخلة سياسته، أنه إذا كبر أحدٌ من أمرائه ومماليكه، أذهبه وأقام صغيراً غيره ليأمن مكره ويكتفي شره، وكان قد أقام الأمير سيف الدين تنكز نائبا بالشام ... وأقام بها نائبا إلى حين مسك ثماني وعشرين سنة وثمانية شهور وطالت في النيابة مدته وكبرت شوكته وكثرت حاشيته"[120].

ويبدو أن تنكز بدأ يشك في موقف الناصر محمد منه خلال الأشهر القليلة التي سبقت القبض عليه، ونتيجة لذلك ناقش تنكز هذا الوضع الجديد مع مماليكه الحسامية خاصة جنغاي[121] وطغاي[122]، "فأشاروا عليه بأن يرسل إلى قلعة جعبر[123] المال والسلاح بحيث يتم ذلك بسرية تامة، ويجهز المكان حتى يكون مناسبا للجوء إليه وقت الضرورة، وأن يشيع بين الأمراء أنه يقصد التوجه للصيد"[124].

كما أن الناصر ازدادت شكوكه من الأمير تنكز بعد أن أرسل حاكم سيواس حسين بن تمرتاش[125] إلى الناصر يبلغه بنية تنكز التآمر على السلطان وأنه يريد الخروج عليه والتوجه إلى الحسين بن تمرتاش نفسه والتحالف معه ضد الناصر، "فتنكر السلطان" لهذا التطور المفاجئ[126].

ويلاحظ أن هذه الواقعة أحدثت تغييراً مفاجئاً وواضحاً في نظرة الناصر محمد إلى تنكز الحسامي، حتى أصبح دائم الشك والريبة في كل ما يأتيه من تصرفات وأفعال[127](1)، أما السبب الذي دفع الحسين بن تمرتاش لأن يوقع بين تنكز والناصر بحيث تسوء العلاقات بينهما، فيحاول ابن حجر أن يشرح ذلك فيقول: بأن الحسين بن تمرتاش "كان يتمنى أن يدخل الشام ويأخذها، ويهاب تنكز، فلم يزل يعمل الحيل إلى أن أرسل رسولا إلى الناصر يقال له قاضي شيراز تاج الدين وأخبره على لسان الشيخ حسن أن تنكز طلب الحضور إلى عندي، فاستوحش الناصر محمد من تنكز وكان سبب هلاكه، فلما بلغه ذلك فرح وأراد التوجه إلى الشام فشغل عنها إلى أن مات في سنة744هـ/1343م"[128].

وكان من نتيجة ذلك أن "شاع في تلك الأيام أن تنكز عزم على التوجه إلى بلاد التتار، فطرقت سمع طاجار فبلغها السلطان مع ما ضم إليها، بسبب ما عمله به تنكز من الازدراء، فتغير السلطان"[129].

---

(120) الشجاعي، 54ب.

(121) جنغاي: مملوك تنكز كان مقربا عنده في غاية الحظوة لدية، وكان يقال أنه قرابته، ثم قبض عليه بعد تنكز وضرب بالمقارع ثم وسط بسوق الخيل في المحرم سنة 741هـ/تموز1340م. (ابن كثير، 152/14؛ ابن حجر، 539/1).

(122) طغاي: أمير آخور تنكز، كان قد تقدم في ولاية أستاذه، فلما أمسك وسط بسوق الخيل على يدي بشتاك الناصري سنة741هـ/1340م، ووجدت عنده أموال كثيرة جداً.(ابن كثير، 152/14؛ ابن حجر، 220/2).

(123) قلعة جعبر: قلعة حصينة من ديار بكر تقع في البر الشرقي الشمالي من الفرات بين الرقة وبالس قرب صفين، كانت قديماً تعرف بقلعة دوسر. (ياقوت، 165/2؛ أبو الفداء، *تقويم*، 276_277؛ البغدادي، 1118/3؛ القلقشندي، 143/4).

(124) الشجاعي، 59ب.

(125) حسين بن تمرتاش: هو حسين بن تمرتاش بن جوبان، تأمر بسيواس بعد قتل أبيه سنة728هـ/1327م، وكان داهية ماكراً، وكان يتمنى أن يدخل الشام، ويأخذها ويهاب تنكز، فلم يزل يعمل الحيل إلى أن أرسل رسولا إلى الناصر يقال له قاضي شيراز تاج الدين على لسان الشيخ حسن أن تنكز طلب الحضور عندي فاستوحش الناصر من تنكز، وكان سبب هلاكه، فلما بلغه ذلك خرج وأراد التوجه إلى الشام فشغل عنها إلى أن مات سنة 744هـ/1343م، مات مخنوقا عن طريق زوجته. (الصفدي، الوافي، 425/10؛ الكتبي، 253/1؛ المقريزي، *المقفى*، 615/2؛ ابن حجر، 15/2).

(126) الصفدي، الوافي، 425/10؛ الكتبي، 253/1؛ ابن خلدون، 442/5؛ المقريزي، *المقفى*، 615/2.

(127) الصفدي، الوافي، 425/10؛ الكتبي، 253/1؛ ابن خلدون، 442/5؛ المقريزي، المقفى، 615/2؛ الحجي، 47.

(128) ابن حجر، 15/2.

(129) ابن خلدون، 442/5؛ ابن حجر، 525/1.

وبهذا يتبين لنا أن حكم تنكز الحسامي في الشام كان يتميز بالقوة والهيبة خاصة بين البلدان المجاورة من الروم[130] والمغول، الأمر الذي أثار عداوة حكام تلك الدول ضد تنكز، واشتدت رغبتهم في طرده من الشام كي يسهل لهم تحقيق مطامعهم فيها حيث كان من المستحيل أن يدخلوا الشام ويتمكنوا من إنجاز هدفهم فيها مع وجود تنكز الذي كان على أهبة الاستعداد الحربي لإنزال الهزيمة بأي حملة عسكرية تتوجه نحو الشام، وبتغير السلطان على تنكز يكون الحسين بن تمرتاش قد نجح إلى حد كبير في تمهيد الطريق للحملة العسكرية التي كان يزمع إرسالها إلى الشام، إلا أنه توفي قبل تحقيق ذلك[131].

إضافة إلى ذلك فقد حدث في شوال من عام740هـ/آذار1339م حريق هائل في مدينة دمشق، وقد أصاب الجامع الأموي وأوقافه بأضرار بالغة[132]، واستمر يومين بلياليها، حتى تم إطفاؤه، ثم توالت الحرائق في المتاجر والأسواق المجاورة للجامع عدة أيام أخرى، فعدم فيها نحو خمسة وثلاثين ألف قوس وعدمت الناس أموالا عظيمة، منها للتجار خاصة ما مبلغه ألف ألف وستمائة ألف دينار وخربت أماكن كثيرة[133]، وقد أجرى الأمير تنكز الحسامي تحقيقا في مسببات هذا الحريق، وبعد التحري الدقيق تبين أن المسؤول عن هذا الحريق هم الكتاب النصارى في مدينة دمشق[134]، وعددهم اثنا عشر شخصاً[135]، وقد قاموا بارتكاب هذه الفعلة بمساعدة راهبين قدما من القسطنطينية[136] ويدعيان "ميلاني" و"عازر" وذلك"ليجاهدا في الملة الإسلامية ومعابدها، وقد باعا نفسيهما على ذلك، وأنهما يعلمان صناعة النفط"[137]، وقد تمكن هذان الراهبان من الفرار إلى قبرص[138] أما بقية كتاب النصارى فقد تم القبض عليهم وأحضروا بين يدي الأمير تنكز فاعترفوا بفعلتهم، فصودرت ممتلكاتهم وأموالهم، ومن ثم سمر[139] أربعة منهم على الجمال وداروا بهم مدينة دمشق، وبعد ذلك أحرقوا بالنيران[140].

---

(130) بلاد الروم: أو أرض الروم، وهي بلاد واسعة من أنزه النواحي وأخصبها وأكثرها خيراً، ومن قراها نتاج الدواب والنعم، وليس في شتى البلاد مثل مائها، يحمل منها إلى سائر الآفاق، كذلك أصناف الرقيق من الترك والروم، وأهلها مسلمون ونصارى، ولبرد بلادهم ترى الغالب على ألوانهم البياض وعلى شعورهم الشقرة وعلى أبدانهم الصلابة، والغالب على طبعهم مباشرة اللهو والطرب، ويقام بالروم سوق كل سنة أول الربيع ويقع إليه من المماليك والجواري التركية والرومية، ومن الثياب الأطلس والسقلاط، ومن الخيل والبغال الحسنة، وبلادهم واسعة، وممتلكاتهم عظيمة منها الرومية والقسطنطينية.(القزويني، 530_531، 586_587).

(131) ابن حجر، 15/2؛ الحجي، 47_48.

(132) أبو الفداء، *المختصر*، 493/2؛ مجهول، 209؛ الشجاعي، 56ب_57أ؛ الذهبي، *دول*، 246/2، *ذيول*، 117/4؛ ابن كثير، 151/14؛ ابن حبيب، *درة*، 163/2أ_163ب، *تذكرة*، 313/2؛ ابن صصرى، 118؛ المقريزي، *المقفى*، 615/2؛ مرزوق، 221؛ حماده، 362.

(133) مجهول، 209؛ الشجاعي، 57أ؛ الذهبي، *دول* 246/2، *ذيول*117/4؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 495.

(134) أبو الفداء، *المختصر*، 493/2؛ الشجاعي، 56ب_57أ؛ الذهبي، *دول*، 246/2، *ذيول*، 117/4؛ ابن كثير، 151/14؛ ابن حبيب، *درة*، 163/2أ_163ب، *تذكرة*، 313/2.ابن صصرى، 118؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 496، *المقفى*، 615/2؛ مرزوق221؛ حماده، 362.

(135) الشجاعي، 57ب؛ ابن صصرى، 118.

(136) القسطنطينية: ويقال قسطنطينية، وهي دار ملك الروم، بناها قسطنطين الأكبر، وتسمى إستنبول، بينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح، وحولها سور عظيم، تتميز بحسنها، فيها منارة عجيبة، (ياقوت، 395/4_396).

(137) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 496.

(138) المصدر نفسه، 2/2، 496.

قبرص: جزيرة في بحر الروم وبأيديهم دورها، مسيرة ستة عشر يوماً.(ياقوت، 346/4).

(139) التسمير: نوع من أنواع التعذيب المستعملة في ذلك العهد ((وهي أن يعرّى المحكوم عليه من الثياب، ثم يربط إلى خشبتين على شكل صليب، ويطرح على ظهر جمل، وتسمى هذه العملية بالتسمير، وربما طيف بالمحكوم عليه شوارع المدينة على هذه الحال، وهذا هو التشهير، ثم يأتي السياف فيضرب المحكوم عليه ضربة قوية بقوة تحت السرة يقسم الجسم إلى نصفين من وسطه فتنهار أمعاؤه إلى الأرض وهذا هو التوسيط)).(المقريزي، *السلوك*، 1/ ق2، 404، ح1؛ دهمان، *معجم*، 48).

وحينما علم السلطان ما فعله تنكز بالنصارى في دمشق أرسل إليه ينكر عليه هذا العمل، حيث خشي السلطان أن يكون هذا العمل ذريعة للنصارى في القسطنطينية للتنكيل بالمسلمين، فبعث إلى تنكز يخبره أنه قرر إرسال بشتاك ويلبغا اليحياوي إلى دمشق ومعهم عدد كبير من الأمراء الخاصكية ومماليكه وعددهم 350، وكتب السلطان لتنكز ((بأن يجهز بناته اللاتي عقد لأولاد تنكز عليهن))، ويطلب منه أيضا أن يرسل الأموال التي صادرها من النصارى إلى القاهرة مع بشتاك ويلبغا اليحياوي[141].

أما موقف تنكز من قرار السلطان هذا فقد أظهر عدم رغبته في قدوم الأمير بشتاك لخشيته من أن قدومه هو بهدف القبض عليه[142]، ولذلك فقد اعتذر تنكز عن تجهيز بنات السلطان، كما اعتذر عن حضور بشتاك، كما أظهر عدم رغبته في إرسال الأموال التي صادرها من النصارى للسلطان، وقدم تنكز ثلاثة أسباب دفعته إلى عدم إرسال الأموال، وهذه الأسباب هي:

أولاً: الجفاف والقحط الذي أصاب بلاد الشام ومنها دمشق في تلك السنة(740هـ/1339م)[143].

ثانياً: الغلاء الكبير الذي طرأ على أسعار الأقوات ومختلف البضائع في بلاد الشام[144].

ثالثاً: رغبة تنكز في صرف تلك الأموال على ترميم وإصلاح الأماكن التي خربت من جراء الحريق[145].

ويجدر بنا ونحن بصدد مناقشة العوامل التي أدت إلى تغير موقف الناصر محمد نحو نائب الشام أن نشير إلى الدور الذي لعبه بعض رجال البلاط، وكانت عاقبة هذا الدور وخيمة على وضع تنكز في سلطنة المماليك، وبعبارة أكثر تحديداً كان لذلك أثر كبير فيما وصلت إليه علاقته بالسلطان من العداء والكراهية حتى انتهى الأمر بالتخلص منه والقضاء على حياته، ويأتي على رأس هؤلاء قرمشي[146] أو قرمجي بن أقطوان الحاجب، ففي سبيل التقرب إلى السلطان والحصول على منصب الحجوبية في مصر اجتهد في إمساك تنكز والإيقاع بينه وبين السلطان[147]. ويظهر موقف قرمجي هذا واضحا عند قدومه إلى الناصر محمد حاملاً رسالة من تنكز يعتذر فيها عن العرس بسبب ما كانت تعانيه بلاد الشام وقت ذاك من ظروف اقتصادية سيئة[148]، ولكن هذا الجواب لم يعجب الناصر محمد ((فنظر إلى

---

(140) أبو الفداء، *المختصر*، 493/2؛ الشجاعي، 57ب؛ الذهبي، *ذيول*، 117/4؛ ابن كثير، 151/14؛ ابن حبيب، *درة*، 163/2أ_163ب، *تذكرة*، 313/2؛ المقريزي، *المقفى*، 615/2.

(141) الشجاعي، 57ب_58ب؛ الصفدي، *تحفة*، 240/2؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 497.

يلبغا اليحياوي: الأمير يلبغا اليحياوي الناصري، كان من أكبر خاصكية الناصر، ولم يكن لديه مثله، حيث شغف به فجعله أمير مائة ومقدم ألف بالديار المصرية وعمر له داراً عظيمة كانت بموضع مدرسة السلطان حسن تجاه القلعة، ولي بعد موت الملك الناصر حماة وحلب والشام، عمر بدمشق الجامع المعروف بجامع يلبغا بسوق الخيل، وكان شجاعاً كريماً، بلغ إنعامه على مماليكه في كل سنة مائة وعشرين فرساً وثمانين حياصة ذهب، توفي في سنة 748هـ/1347م. (الصفدي، *أمراء*، 100، *تحفة*، 264/2_265؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 755_756؛ ابن حجر، 436/4_437؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 146/10_147؛ ابن طولون، 19؛ دهمان، *ولاة*، 188).

(142) الشجاعي، 58ب؛ الكتبي، 253/1؛ الصفدي، الوافي، 425/10؛ المقريزي، *المقفى*، 616/2؛ ابن إياس، 1/ ق1، 477.

(143) الشجاعي، 58ب، 59ب؛ الصفدي، *تحفة*، 240/2، الوافي، 425/10؛ الكتبي، 253/1؛ المقريزي، *المقفى*، 616/2؛ الحجي، 42.

(144) الشجاعي، 58ب؛ الحجي، 42.

(145) الشجاعي، 58ب؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 497، *المقفى*، 616/2؛ مرزوق، 223؛ الحجي، 42.

(146) قرمجي: هو قرمجي بن أقطوان الحاجب، نشأ بصفد على خير وعبادة واعتقاد في ابن تيمية وأتباعه، وكان تنكز يحبه، ثم ولي الحجوبية بالقاهرة، ثم نيابة صفد أيام الصالح إسماعيل بن الناصر (742_746هـ/1342_1345م)، ثم آل أمره إلى أن خنق في شعبان سنة 747هـ/ تشرين الثاني1346م.(الشجاعي، 61ب؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 722؛ ابن حجر، 248/3).

(147) الشجاعي، 59أ؛ المقريزي، *المقفى*، 616/2؛ الحجي، 43.

(148) الشجاعي، 59ب.

قرمجي نظرة الغضب فاستدرك قرمجي في جوابه وتحدث مع السلطان فيما يرضيه فاستعطفه السلطان وأوعده بمواعيد حسنه وأن يكبره ويوليه الحجوبية، وباطنه في أمر سائر الشام فباح له بسائر أسراره وضمائره وسبب حضوره، وأن نائب ((الشام)) خائف من عاقبة أمره مع السلطان، وأنه حذر من حضور بشتاك وعرف سائر ما هو مطلع عليه من أمور نائب الشام، فقرر السلطان معه أن يكون عيناً له عليه وأن يرسل إليه بجميع أحواله وما يتجدد له وما نهض قرمجي حتى غنمت نفسه أن نائب الشام ما بقي يسد منها عصابة، وأن يكون هو حاجباً بمصر، وكتب السلطان له الجواب لنائب الشام وهو ناكر عليه في العرس وأنه لاغنى عنه، وأوصى لقرمجي أن يطالع بما يتجدد، وسافر قرمجي))[149].

وهكذا استطاع الناصر محمد أن يحول قرمجي إلى عين تشهد أعمال تنكز وتفسرها حسبما يرضي شكوكه وارتيابه، في حين نسي قرمجي فضل تنكز الحسامي عليه، حيث ساعده ورقاه حتى أصبح الحاجب الخاص لنائب الشام[150](2)، وأضحت المصلحة الشخصية هي المحور الذي يحرك الحوادث بما يخدم المنفعة الخاصة، إنها ولا شك سياسة كريهة تتضمن فرصة الارتقاء على حساب قضية تنكز، وإبرازها في شكل خطر يهدد استقرار الدولة، ومن جانب آخر لعبت الظروف دوراً كبيراً في خدمة هذه الميول الانتهازية، ذلك أن تنكز اعتذر عن استقبال الأمير بشتاك الذي كان مقرراً حضوره من القاهرة من أجل عمل العرس لأولاد تنكز على بنات السلطان، وبين تنكز أنه لا داعي لأن يتكبد الأمراء خسائر التقادم والشموع والهدايا بهذه المناسبة، ويطلب تأجيل ذلك إلى أن يتحسن الوضع الاقتصادي، ومن ناحية ثانية فإنه لا مانع عنده من أن يرسل أولاده بين يدي السلطان بغير مهم عنده، وأرسل قرمجي بالكتاب وأمره بكشف حال السلطان معه وسرعة حضوره بالخبر[151].

ويرى ابن إياس أن تنكز لو حضر مع الأمير بشتاك أو الأمير يلبغا إلى عند السلطان ما كان يحصل له إلا كل خير ولكن ضل رأيه عن الصواب[152].

ولكن يبدو أن جواب تنكز هذا لم يعجب السلطان، فجاء دور سيف الدين طاجار[153] المارديني لكي يلعب دورا مشابها لما فعله قرمجي، ذلك أن السلطان أرسل طاجار إلى تنكز وطلب منه إخباره رغبة السلطان في حضوره مع أولاده إلى القاهرة، إلا أن تنكز رد على طاجار الدوادار بأن يعود إلى السلطان وأنه سيلحق به مع أولاده بعد عدة أيام[154].

وهكذا يبدو أنه مما أثار غضب الناصر محمد أيضا هو تأخير تنكز في إرسال ولديه إلى القاهرة كي يتزوجا ابنتي الناصر[155]، وفي ذلك الوقت تقابل طاجار الدوادار مع قرمجي الحاجب والذي كان ((عين السلطان يطالعه بما

(149) الشجاعي، 59أ؛ المقريزي، *المقفى*، 616/2.

(150) الشجاعي، 61أ_61ب؛ المقريزي، *المقفى*، 616/2؛ ابن حجر، 248/3؛ الحجي، 43.

(151) الشجاعي، 59ب؛ ابن خلدون، 442/5.

(152) ابن إياس، 1/ ق1، 477.

(153) طاجار: من كبار مماليك السلطان الناصر محمد، أمّره في عام709هـ/1309م عشرة، ثم أمره طبلخاناه ثم رقاه إلى منصب الدوادارية، وكان ممن انضم إلى الملك المنصور أبي بكر فقبض عليه عند خلعه وقتل بالإسكندرية على يد الأمير قوصون عام 742هـ/1341م. (الصفدي، الوافي، 378/16_379. المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 614؛ ابن حجر، 213/2_214؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 61/10.

(154) الشجاعي، 60ب؛ الصفدي، الوافي، 425/10؛ المقريزي، *المقفى*، 616/2؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 112/9؛ ابن إياس، 1/ ق1، 477.

(155) الشجاعي، 58 ب.

يتجدد))، فأوصى قرمجي أن يعرف ((السلطان أن يستدرك أمر نائب الشام))، قبل خروجه من دمشق، وقد جهز لهذا الغرض خمسمائة هجين، حيث اتفق تنكز مع أمرائه على ذلك، وحلفهم وأنفق عليهم وأعطاهم الخيل والخلع[156](1).

من خلال ذلك يبدو لنا جليا تصرف بعض المقربين من تنكز ضده، فعملوا على الكيد له عند السلطان، في حين يظهر لنا واضحاً أن نائب الشام كان يتصرف تصرفا عادياً لا غبار عليه، ولم يظهر أنه كان يتحرز في حديثه مع طاجار أو قرمجي، الأمر الذي يدل على صدق نواياه وإخلاصه للسلطان[157].

ولكن من جانب آخر نلاحظ أن بعض المماليك الحسامية كانوا يشكون في تصرفات قرمجي وقد حذروا تنكز من مكائده وأنه ((من جهة السلطان عينا عليك فلا تسمع منه))[158]، غير أن تنكز كان مطمئناً إلى قرمجي وطاجار بدليل ما حدث عندما أرسل السلطان طاجار إلى تنكز يقول له: ((إنه ما بقي يطلبك إلى مصر ولا يجهز إليك أميرا حتى لاتتوهم))، فقال: ((أنا أتوجه معك بأولادي))، فقال: ((لو وصلت إلى بلبيس[159] ردك، وأنا أكفيك هذا المهم وأكون عندك بعد ثمانية أيام بنعلين جديدين))، فثبطه بكلامه، ((ويقال: لو عصاه وسار إلى السلطان عذره ولم يلق إلا خيراً))[160].

وهكذا يظهر بشكل واضح وصورة متكاملة أن كلاً من طاجار الدوادار وقرمجي بن أقطوان الحاجب كانا يغشان تنكز الحسامي في النصيحة، ويؤلفان القصص الكاذبة عند سلوكهما وتصرفهما في سبيل تحقيق رغبتهما في التخلص من تنكز من ناحية، والتقرب إلى السلطان لتحقيق طموحاتهما الشخصية من ناحية أخرى، وكانا يدركان كذلك أن السلطان يكن لتنكز أعمق مشاعر الإعزاز والتقدير، ولذا اجتهدا في البحث عن دليل يدين تنكز أمام الناصر محمد، وقد كان ذلك في تفسير الأفعال التي قام تنكز بعملها في آخر أيامه، وأصبح بالتالي هدفهما هو إقناع الناصر محمد بأن كل ما أتاه تنكز من أعمال في تلك الفترة كان يخدم حركة العصيان التي كان يدبرها في الخفاء وهو أبعد ما يكون عن الحقيقة[161]، ويؤكد الكاتب Holtأن العلاقة الحميمة التي ربطت الناصر بالأمير تنكز خاصة بعد المصاهرة بينهما قد أدت إلى ظهور تنكز على جميع الأمراء حيث أدى هذا إلى إثارة الحسد من الأمراء الآخرين وأن حاشية السلطان قد غذت بلا شك شبهاته حول الأمير تنكز خاصة بعد عودته إلى دمشق على أثر زيارته الأخيرة للقاهرة عام739هـ/1338م[162].

وبهذا يلاحظ أن طاجار أوهم تنكز أن السلطان تراجع عن رغبته في حضوره إلى القاهرة، في الوقت الذي أثار حقد الناصر على تنكز حيث أخبره عند عودته إلى القاهرة بأن تنكز لا يريد الحضور إليه[163].

وفي الوقت نفسه أعلم طاجار الدوادار السلطان الناصر محمد بأن تنكز يخطط للذهاب إلى قلعة جعبر بحجة التصيد هناك حيث أن طاجار ((زاد في المقال وعظّم الأمر)) للناصر، مما أثار حقد السلطان على تنكز[164]، وكان

---

(156) الشجاعي، 61أ_61ب.

(157) الشجاعي، 59أ، 60ب؛ الصفدي، الوافي، 425/10؛ المقريزي، *المقفى*، 616/2؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 112/9؛ ابن إياس، 1/ق1، 477؛ الحجي، 44.

(158) الشجاعي، 61ب.

(159) بلبيس: مدينة بينها وبين الفسطاط عشرة فراسخ على طريق الشام، وهي من الأعمال الشرقية بالديار المصرية. (ياقوت، 567/1؛ أبو الفداء، *تقويم*، 118_119؛ المقريزي، *الخطط*، 339/1_340).

(160) الكتبي، 253/1_254؛ الصفدي، الوافي، 425/10_426، *تحفة*، 240/2؛ ابن حجر، 524/1.

(161) الشجاعي، 61أ_61ب؛ الصفدي؛ الوافي، 425/10؛ المقريزي، *المقفى*، 616/2؛ ابن حجر، 248/3؛ الحجي، 45.

(162) Holt 115.

(163) الكتبي، 253/1_254؛ الصفدي، الوافي، 425/10_426، *تحفة*، 240/2؛ ابن حجر، 524/1.

تنكز قد ناقش الأمر مع مستشاريه خاصة جنغاي وطغاي، فكان القرار إرسال الأموال والعتاد إلى القلعة لتهيئتها للجوء تنكز إليها في حالة وقوع نزاع متوقع بينه وبين الناصر[165]، وعندما علم السلطان بنية تنكز اللجوء إلى جعبر قرر أن يرسل إلى دمشق جيشا للقبض على تنكز قبل أن ينفذ خطته في الهرب[166].

إضافة إلى ذلك فان المؤرخين يذكرون أسباباً أخرى للنزاع بين الناصر وتنكز وقرار السلطان القبض عليه، فقد ((كان لتغير السلطان الملك الناصر على تنكز هذا أسباب منها: أنه كتب يستأذنه في سفره إلى ناحية جعبر فمنعه السلطان من ذلك لما بتلك البلاد من الغلاء، فألح في الطلب، والجواب يرد عليه يمنعه حتى حنق تنكز وقال، والله لقد تغير عقل أستاذنا وصار يسمع من الصبيان الذين حوله، والله لو سمع مني لكنت أشرت عليه بأن يقيم أحدا من أولاده في السلطنة، وأقوم أنا بتدبير ملكه، ويبقى هو مستريحاً))، فكتب بذلك جركتمر[167] إلى السلطان، وكان السلطان يتخيل بدون هذا فأثر هذا في نفسه، ثم اتفق أن أرتنا[168] نائب بلاد الروم بعث رسولاً إلى السلطان بكتابه، ولم يكتب معه كتاباً إلى تنكز، فحنق تنكز لعدم مكاتبته ورد رسوله من دمشق، فكتب أرتنا يعرف السلطان بذلك، وسأل ألا يطلع تنكز على ما بينه وبين السلطان، ورماه بأمور أوجبت شدة تغير السلطان على تنكز. ثم اتفق أيضا غضب تنكز على جماعة من مماليكه فضربهم وسجنهم بالكرك والشوبك، فكتب منهم جوبان[169] وكان أكبر مماليكه إلى الأمير قوصون يشفع به في الإفراج عنهم من سجن الكرك، فكلم قوصون السلطان في ذلك، فكتب السلطان إلى تنكز يشفع في جوبان فلم يجب عن أمره بشيء، فكتب إليه ثانياً وثالثاً فلم يجب، فاشتد غضب السلطان حتى قال للأمراء: ((ما تقولون في هذا الرجل؟ هو يشفع عندي في قاتل أخي فقبلت شفاعته وأخرجته من السجن وسيرته إليه _

---

(164) الشجاعي، 62أ؛ الكتبي، 254/1؛ المقريزي، *المقفى*، 617/2؛ ابن حجر، 525/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 112/9؛ دهمان، *ولاة*، 163.

(165) الشجاعي 59ب؛ المقريزي، *السلوك* 2/ ق2، 498، *المقفى* 616/2.

(166) الشجاعي62أ؛ الكتبي، 254/1؛ الصفدي، الوافي، 426/10؛ ابن كثير 151/14؛ المقريزي، *المقفى*، 617/2؛ ابن حجر، 525/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 112/9؛ ابن إياس، 1/ ق1، 478؛ دهمان، *ولاة*، 163.

(167) جركتمر: هو الأمير بهادر رأس نوبه، اتصل بعد قتل أبيه ببيبرس الجاشنكير وأمره في أواخر دولته في رمضان عام708هـ/شباط1308م، فلما عاد الناصر وقبض على الأمراء الذين أمرهم المظفر بيبرس لم يسلم منهم إلا جركتمر لأن قراسنقر كان صهره حيث شفع فيه عند السلطان فعفى عنه وأعاده إلى حريته، ولم يزل حتى مات الناصر فبعثه قوصون مبشراً بسلطنة الأشرف كجك، ثم سجن بعد القبض على قوصون وقتل بالإسكندرية عام (742هـ/1341م)، وكان في جملة الأمراء الذين حجوا مع الناصر.

(المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 605؛ ابن حجر، 534/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 62/10).

(168) أرتنا: هو النُّوين أرتنا، وقيل أرطنا، سلطان بلاد الروم، كان نائباً عن السلطان بو سعيد بن خربندا ملك المغول بجميع ممالك الروم، ودام على ذلك سنين، فلما مات بو سعيد كاتب أرتنا هذا السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون وقال له: ((أريد أن أكون نائبك بممالك الروم))، فأجابه الملك الناصر محمد وكتب له بذلك، وأرسل له الخلع السنية وكتب له: ((نائب السلطنة الشريفة بالممالك الرومية))، ولم تزل رسله تتردد إلى الديار المصرية إلى أن مات في أوائل المحرم من سنة 753هـ/شباط1352م، وقد حسن إسلامه، كان ملكا عارفاً عاقلاً سيوساً مدبراً.(القلقشندي، 344/5_345؛ ابن حجر، 348/1_349؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 226/10؛ السخاوي، 66/1).

(169) جوبان: هو الأمير سيف الدين جوبان بن عبد الله المنصوري، أحد أكابر أمراء دمشق، كان من مماليك الأشرف، أمّره ثم أمّره الناصر بدمشق، ووقع بينه وبين تنكز فأذن له في المجيء إلى القاهرة فأقام وقتاً يسيراً ثم أعيد إلى دمشق ومات بها بعد مدة في صفد سنة728هـ/1327م، وهو من أبناء السبعين.(ابن حجر، 542/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 198/9).

يعني طشتمر[170] أخا بتخاص[171]، وأنا أشفع في مملوكه ما قبل شفاعتي))، وكتب السلطان لنائب الشوبك بالإفراج عن جوبان المذكور فافرج عنه فكان هذا وما أشبهه الذي غير خاطر السلطان الملك الناصر على مملوكه تنكز[172].

ولا شك أنه كان لإشاعة خروج تنكز الحسامي إلى المغول أثر كبير في تفاقم شكوك الناصر محمد نحو نائبه في الشام، وزيادة نواياه في إمساكه قبل أن ينجح في تنفيذ محاولة الهرب هذه[173].

ومثلما كان الطمع في السيطرة على بلاد الشام وراء موقف حكام البلاد المجاورة من تنكز الحسامي، كذلك كانت الغيرة والحسد هي الدافع الذي كان يحرك كبار الأمراء في البلاط الناصري من أجل إثارة غضب الناصر محمد وحنقه على نائب الشام[174].

ولعل من أهم ما كان يثير استياءهم هو حرص الناصر محمد على أن يستشير تنكز الحسامي في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الدولة، إلى جانب سؤاله المستمر لنائب الشام في سبيل أن ينصحه فيما يجب أن يفعله للوصول إلى حل مناسب لمشاكل الحكم ومسؤولياته، ونتيجة لجهود هؤلاء الأمراء المتواصلة اعتقد الناصر محمد أن تنكز الحسامي كان فعلاً يحضر نفسه للهرب من دمشق من أجل النجاة والحماية[175].

وقد تأكدت شكوك الناصر من مسألة فرار تنكز من دمشق عندما حضر طاجار إلى البلاط الناصري وأبلغ السلطان أن تنكز ((عزم على الخروج من دمشق))[176].

ونتيجة لكل هذه التطورات طلب السلطان بعد الصلاة بعض الأمراء الذين قرر إرسالهم من أجل تنفيذ مهمة إلقاء القبض على تنكز، وهؤلاء الأمراء هم الأمير بشتاك، والأمير بيبرس الأحمدي[177]، والأمير جنكلي بن

---

(170) طشتمر: هو سيف الدين طشتمر بن عبد الله الساقي الناصري المعروف بحمص أخضر، كان أحد مماليك الملك الناصر محمد بن قلاوون ومن خواصه، رقاه وأمّره وولاه نيابة صفد، وهو الذي توجه من صفد وقبض على تنكز نائب الشام، ثم نقله إلى نيابة حلب عوضا عن طوغان الناصري سنة741هـ/1340م، فدام بحلب حتى خرج إلى الروم ثم عاد إلى مصر صحبة الأمراء الشاميين فولاه الناصر أحمد نيابة السلطنة، ثم قبض عليه بعد أن باشر النيابة بـ35 يوماً وأخرجه معه إلى الكرك فقتله هناك عام 743هـ/1342م. (ابن حجر، 2/219_220؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 9/83_84).

(171) بتخاص: هو الأمير سيف الدين بتخاص المنصوري، أصله من الرحبة ثم كان من أمراء دمشق ثم ولي نيابة صفد سنة 709هـ/1309م، فأكثر من القتل، ثم صرف فعاد إلى القاهرة وولي بها إمرة في سلطنة بيبرس الجاشنكير، وفي سلطنة الناصر الثالثة وقع بينه وبين بتخاص خلاف فأحرق داره وسجنه بالكرك إلى أن مات بها سنة711هـ/1311م.(الصفدي، الوافي، 10/75؛ ابن حجر، 1/472_473).

(172) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 498؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 9/122_123.

(173) الشجاعي، 62أ_62ب؛ الصفدي، الوافي، 10/426؛ الكتبي، 1/254؛ المقريزي، *المقفى*، 2/617؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 9/113؛ دهمان، *ولاة*، 163_164؛ الحجي، 49.

(174) ابن خلدون، 5/442.

(175) الشجاعي، 62أ، 66ب؛ الصفدي، *تحفة*، 2/240؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 498_499؛ ابن حجر، 1/، 525؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 9/112؛ الشوكاني، 1/172.

(176) المقريزي، *السلوك* 2/ ق2، 498؛ ابن تغري بردي، *النجوم* 9/112.

(177) بيبرس الأحمدي: أحد أعيان الديار المصرية، وهو الذي قوى عزم قوصون على سلطنة الملك المنصور أبي بكر، وكان جركسي الجنسية، تنقل إلى أن صار من أعيان الأمراء بمصر، ثم ولي نيابة صفد وطرابلس، ثم قدم القاهرة وتولى أمير جاندار، وكان كريماً شجاعاً ديناً قوي النفس، وكان له ثروة كبيرة، توفي في سنة 746هـ/1345م وهو في عشر الثمانين. (الصفدي، الوافي، 10/353_355؛ ابن حجر 1/502؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 10/115).

البابا[178]، والأمير أرقطاي، والأمير أرنبغا[179] أمير جاندار[180]، والأمير قماري[181]، أمير شكار[182]، والأمير قماري[183] أخو بكتمر الساقي، والأمير برسبغا[184] الحاجب، ومع هؤلاء الأمراء السبعة ثلاثون أمير طبلخاناه، وعشرون أمير عشرة، ... وخمسون نفراً من مقدمي الحلقة وأربعمائة من المماليك السلطانية))[185]، ولكن مؤرخين آخرين أشاروا إلى أن عدد القوات التي أرسلها الناصر إلى دمشق تراوحت بين خمسة آلاف وعشرة آلاف بقيادة بشتاك الناصري[186]، وقبل إرسال هذه القوات جلس السلطان وعرض هذه القوات[187].

---

(178) جنكلي بن البابا: هو الأمير بدر الدين جنكلي بن محمد بن البابا بن جنكلي بن خليل بن عبد الله المعروف بابن البابا العجلي، كان أتابكاً للعساكر بالديار المصرية، أصله من بلاد الروم، طلبه الملك الأشرف خليل بن قلاوون فكتب له منشوراً بالإقطاع الذي عينه إليه، فلم يتفق حضوره إلا في أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة 704هـ/1304م، فأمّره وأكرمه، ولا زال يرقيه حتى صار يجلس ثاني أقوش نائب الكرك، ثم بعد أقوش جلس جنكلي هذا رأس الميمنة، توفي في ذي الحجة سنة 746هـ/آذار1345م. (الصفدي، الوافي، 2/310_313، 11/199_201؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 552_553؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 9/116؛ السخاوي، 1/18_19).

(179) أرنبغا: هو الأمير سيف الدين أرنبغا بن عبد الله الناصري، عمل ناظراً لطرابلس، وكان من أجلّ أمراء الدولة ومن أعيان مماليك الناصر محمد وخاصكيته، تنقل في عدة ولايات وكان معدوداً من الشجعان.(ابن تغري بردي، *النجوم*، 10/81_82).

(180) أمير جاندار: الجاندار لفظ مركب من: جان: التركية بمعنى روح، ودار: الفارسية بمعنى ملك أو صاحب، وأمير جاندار معناه: الممسك لروح السلطان، وهو لقب موظف من العصر المملوكي من مرتبة أمراء الطبلخاناه، لا يأذن بالدخول عليه إلا لمن يأمن عاقبته، ولهذا الأمير مهام أخرى كتقديم البريد للسلطان والأمير وتسلم الزردخاناه.

(القلقسندي، صبح، 4/20_21، 5/433؛ المقريزي، *الخطط*، 3/387؛ ابن كنان، 130؛ البقلي، 48؛ عاشور، *العصر*، 426؛ الخطيب، 43_44).

(181) قماري: ((أمير شكار)): كان حظياً عند الناصر، حتى تزوج ابنته، وأمّره تقدمة في سنة 738هـ/1337م، ثم ولي أيام الصالح إسماعيل أمير آخور، مات في أواخر سنة745هـ/1344م. (ابن حجر، 3/256).

(182) أمير شكار: من فئة أمراء الطبلخانات، تلقب به المسؤول عن الطيور الجوارح وأحواشها وكل ما يتصل بأدوات صيد السلطان. (القلقشندي، 4/23، 5/433_434؛ ابن طولون، 14، ح2؛ التونجي، 373؛ عاشور، *العصر*، 414؛ البقلي، 49؛ الخطيب، 44_45).

(183) قماري الناصري: هو سيف الدين قماري بن عبد الله الناصري أخو بكتمر الساقي، أمّره الناصر بعد وفاة بكتمر، وكان أحضره من بلاد الترك من أجل أخيه، ولي الإستادارية في أيام الصالح إسماعيل، ثم عمل نائباً لطرابلس، وخرج مع الفخري لحصار الناصر أحمد بالكرك، ثم أخرجه الكامل إلى نيابة طرابلس، قبض عليه أواخر سنة 746هـ/1345م، ونقل إلى سجن الإسكندرية وقتل هناك سنة 747هـ/1346_1347م. (المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 723؛ ابن حجر، 3/256؛ ابن تغري بردي، *النجو*، م 10/141).

(184) برسبغا: هو الأمير سيف الدين برسبغا الحاجب الناصري، كان معظماً عند الناصر وهو الذي كان يتولى عقوبة المباشرين إذا صودروا فهلك على يده النشو وأقاربه وأمين الدين وغيرهم، وكان مع ذلك لين الجانب سليم الباطن، ثم امسك في ولاية الأشرف كجك واعتقل بالإسكندرية وقتل فيها في ولاية الناصر أحمد سنة 742هـ/1342. (الصفدي، الوافي، 10/114_115؛ ابن حجر، 1/474).

(185) الشجاعي، 62أ_62ب؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 498_499، *المقفى*، 2/617؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 9/113؛ دهمان، *ولاة*، 163_ 164.

(186) الصفدي، الوافي، 10/ 426؛ الكتبي، 1/254.

(187) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 499، المقفى، 2/617؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 9/113؛ دهمان، *ولاة*، 164.

عرض القوات: ويسمى يوم العرضة، وهو اجتماع القوات والقيام برقصة الحرب وهم يحملون السيوف وينشدون أناشيد الحرب، وهي بمثابة إعداد القوات للحرب، أي تحميتها وزيادة نشاطها، وما زالت العرضة تستعمل في السعودية إلى اليوم، وهي رقصة الحرب أو: ((العرضة النجدية))، وأصبحت رقصة شعبية يشترك فيها الملوك والأمراء والشيوخ.(غوانمة، 155، ح228).

وحمل السلطان لكل مقدم ألف شارك في التوجه إلى الشام للقبض على تنكز، مبلغ ألف دينار، ولكل أمير طبلخاناه أربعمائة دينار، ولكل مقدم حلقة ألف درهم، ولكل مملوك خمسمائة درهم وفرساً وقرقلاً وخوذه[188].

كما قرر الناصر تحليف العسكر المتوجه للقبض على تنكز، حتى يضمن ولاءه له في حركته العسكرية وهو يتوجه من مصر إلى الشام للقبض على تنكز[189]، وقد قرر الناصر تحليف العسكر بعد استشارة أمرائه الذين أشاروا عليه بذلك، حيث: "جمع الأمراء جميعهم وحلف المجردين والمقيمين له ولولده الأمير أبي بكر من بعدة، وطلب الأجناد من النواحي للحلف، فكانت بالقاهرة حركات كثيرة"[190]، هذا إلى جانب أن السلطان بعث الأمير بهادر حلاوة[191] من طائفة الأوجاقية[192] إلى الطنبغا الصالحي نائب غزة، ومعه كتاب من السلطان سلمه إليه يخبره بأن السلطان قرر أن يستقر الطنبغا الصالحي في نيابة الشام بدلاً من تنكز، وأن العسكر المصري قادم إليه للتوجه به إلى دمشق[193]، كما توجه بهادر حلاوة إلى سيف الدين طشتمر نائب صفد ومعه مرسوماً سلمه إليه، يأمره فيه السلطان بأن يتوجه سريعاً إلى دمشق للقبض على تنكز نائب الشام[194].

كما ذهب بهادر حلاوة إلى بقية نواب الشام بملطفات[195] كثيرة، وذلك لكي يضمن ولاءهم للسلطان وعدم تحالفهم مع الأمير تنكز[196].

وهكذا نلاحظ أن السلطان الناصر قرر أن يرسل جيشاً إلى الشام بقيادة أشهر أمراء مصر وعلى رأسهم بشتاك الناصري لمحاربة تنكز الحسامي[197].

وأخيرا غادر الجيش المعد للإمساك بتنكز القاهرة في 23ذي الحجة سنة 740هـ/20حزيران سنة1340م[198].

---

(188) الشجاعي، 62ب؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 499، *المقفى*، 617/2؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 9/ 113.
والقرقل: جمعه قرقلات: وهي نوع من الدروع تتخذ من صفائح الحديد وتغشى بالديباج الأحمر والأصفر وقد تكون مبطنة. (القلقشندي، 2/ 152، 4/ 11؛ البقلي، 272؛ عاشور، *العصر*، 462).

(189) مجهول، 210_211؛ الصفدي، الوافي، 426/10؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 499؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 113/9؛ دهمان، *ولاة*، 164؛ الحجي، 50.

(190) مجهول، 210_211؛ الصفدي، الوافي، 426/10؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 499؛ ابن تغري بردي، النجوم، 113/9؛ دهمان، *ولاة*، 164.

(191) بهادر حلاوة: هو بهادر حلاوة الأوجاقي، كان أشقر أزرق، ظالماً، وكان الناصر يندبه في مهماته، ثم ولي إمرة طبلخاناه وتقرر مقدم البريدية بالشام بعد تنكز، مات بحلب في صفر سنة 744هـ/حزيران1343م. (ابن حجر، 497/1).

(192) الأوجاقية: أو الأوشاقية، واحدها أوشاقي أو أوجاقي، وهو الذي يتولى ركوب الخيل للتسيير والرياضة.
(القلقشندي، 170/11، ح6. ابن أجا، 164؛ البقلي، 57؛ عاشور، *العصر*، 416).

(193) ابن حبيب، *تذكرة*، 321/2؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 499، *المقفى*، 617/2؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 113/9؛ دهمان، *ولاة*، 164.

(194) أبو الفداء، *المختصر*، 493/2؛ مجهول، 211؛ الصفدي، الوافي، 426/10؛ الكتبي، 254/1؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 499، *المقفى*، 617/2؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 9/ 113. دهمان، *ولاة*، 164.

(195) الملطفات: كتب سرية كانت تكتب في العصر المملوكي على كاغد لطيف، وتلف وتختم ثم توضع في مكان خفي كنصاب سكين أو سواك أو عصا مجوفة من الداخل، يحملها الرجل ويقوم بتسليمها إلى المرسلة إليه بصورة سرية لا تلفت النظر.(القلقشندي، 162/1، 52/3؛ البقلي، 327؛ الخطيب، 407).

(196) الصفدي، الوافي426/10؛ الكتبي، 254/1؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 500؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 113/9؛ دهمان، *ولاة*، 164.

(197) الشجاعي، 62أ؛ الكتبي، 254/1؛ الصفدي، الوافي، 426/10؛ ابن كثير، 151/14؛ المقريزي، *المقفى*، 617/2؛ ابن حجر، 525/1؛ ابن تغري يردي، *النجوم*، 112/9؛ ابن إياس، 1/ ق1، 478.

وأرسل السلطان إلى الأمراء المقيمين بدمشق يطلب منهم أن يأخذوا احتياطاتهم من تنكز، وأن يستعدوا لمنعه من الخروج من دمشق، وأن يقبضوا عليه، أو أن يعيقوه على الأقل عن التوجه خارج دمشق إلى قلعة جعبر ريثما يصل الجيش المصري إلى دمشق[199](10).

نهاية الأمير تنكز الحسامي:

تزامنت التطورات سالفة الذكر، مع قدوم الأمير موسى بن مهنا[200] فقرر معه السلطان القبض على تنكز، فأرسل الأمير موسى بن مهنا((كتب إلى العربان بأخذ الطرقات من كل جهة على تنكز))[201].

ثم خرج موسى بن مهنا لتجهيز العربان وإقامته على حمص[202]، وفي سبيل الإحاطة بتنكز بشكل جيد فان السلطان محمد بن قلاوون كتب أيضا ((لسائر العربان أن يأخذوا عليه الطرقات وملئها عليه خيلاً ورجالاً))[203].

وقد انتهى الأمر بأن ركب الأمير طشتمر الساقي المعروف بحمص أخضر نائب صفد إلى دمشق في ثمانين فارساً، واجتمع بالأمير قطلوبغا الفخري[204]، وسنجر البشمقدار[205]، وبيبرس السلاح دار[206]، واتفق ركوب الأمير تنكز في ذلك اليوم إلى قصره فوق ميدان الحصا في خواصه للنزهة، وبينما هو في ذلك إذ بلغه قدوم الخيل من صفد

---

(198) مجهول، 211؛ الشجاعي، 62ب- 63ب؛ الصفدي، *تحفة*، 240/2؛ المقريزي، *المقفى*، 618/2؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 113/9؛ الشوكاني، 172/1.

(199) الصفدي، الوافي، 426/10؛ المقريزي، *المقفى*، 617/2.

(200) موسى بن مهنا: أمير آل فضل، لم يخرج عن الطاعة، وكان يتنقل في الإمرة، وكانت له على السلطان الناصر وفادات وهو كثير الجرأة عليه والناصر يكثر من الإحسان إليه، فقرره في الإمرة بعد أبيه، حيث كان أبوه أميراً، وقد أصبح أميراً عام 735هـ/1334م، قدم على الناصر عام 738هـ/1337م، فأنعم عليه وأعطاه ضيعتين زيادة، مات في جمادى الأولى سنة742هـ/تشرين الأول1341م بتدمر.(المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 615؛ ابن حجر، 382/4).

(201) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 499؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 113/9.

(202) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 499؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 133/9.

(203) الشجاعي، 63أ.

(204) قطلوبغا الفخري: الأمير سيف الدين قطلوبغا بن عبد الله الفخري الساقي الناصري، كان من كبار مماليك الناصر محمد بن قلاوون من طبقة أرغون الدوادار، وكان من المقربين إليه، ثم سجنه في القلعة بتهمة التآمر عليه، وبعد توسط بكتمر الساقي أطلق سراحه وأمر بإخراجه إلى الشام مع تنكز نائبها سنة 727هـ/1326م، فقربه تنكز إليه، إلا أنه تحالف مع السلطان فيما بعد_ عام 740هـ/1339م_ في إمساك تنكز، ثم عمل في خدمة الناصر أحمد في الكرك واستولى على دمشق من الطنبغا وأصبح نائباً للمدينة لمدة أقل من سنة، وبعد أن شك الناصر أحمد في إخلاصه له قتله بسيفه عام 743هـ/1342م. (ابن الوردي، 475/2؛ الصفدي، *أمراء*، 69، *تحفة*، 250/2_256؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 638؛ ابن حجر، 250/3_252؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 84/10؛ ابن إياس، 1/ ق1، 495؛ ابن طولون، 16_17؛ دهمان، *ولاة*، 184).

(205) سنجر البشمقدار: هو علم الدين سنجر بن عبد الله البشمقدار المنصوري، كان من مماليك المنصور قلاوون، تنقل إلى أن أمّر بدمشق ثم نقل إلى القاهرة في سلطنة الناصر أحمد بصحبة قطلوبغا الفخري، مات سنة 745هـ/1344م بعد أن أسن وارتعش. (ابن حجر، 173/2_174؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 10/ 94).

(206) بيبرس السلاح دار: الأمير ركن الدين بيبرس بن عبد الله الناصري الحاجب، من المماليك الناصرية، رقاه الملك الناصر محمد حتى صار أمير مائه ثم مقدم ألف، ثم ولاه أمير آخور مدة سنتين، ثم عزله بالأمير أيدغمش وولاه الحجوبية، ثم جرده إلى اليمن فبلغ عنه أنه ارتشى فلما عاد قبض عليه فحبسه 9سنين و8أشهر إلى أن افرج عنه سنة 735هـ/1334م، وأخرجه إلى حلب أميراً بها ثم نقله إلى إمرة بدمشق فما زال بها حتى مات سنة 743هـ/1342م. (ابن حجر، 508/1_509؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 83/10).

فعاد إلى دار السعادة[207](8)، وألبس مماليكه السلاح، وأحاط به أمراء دمشق، وفي هذه الأثناء وصل نائب صفد، فخرج عسكر دمشق للقائه وقد نزل بمسجد القدم، فأمر جماعة من المماليك أن يعودوا إلى تنكز ويخرجوه إليه، فدخل عليه جماعة منهم تمر الساقي[208]، والأمير طرنطاي البشمقدار، وبيبرس السلاح دار، وعرّفوه مرسوم السلطان فأذعن لذلك، بسبب عدم استعداده لمواجهتهم أو الخروج من دمشق والإفلات منهم، ((فإن نائب صفد طرقه على حين غفلة باتفاق أمراء دمشق، ولم يجتمع على تنكز إلا عدة يسيره من مماليكه فلذلك سلم نفسه))[209].

وهذه الواقعة توضح أن تنكز قد فوجئ فعلاً بقدوم طشتمر بجيشه من صفد، كما أنه فكر في الحال أن يجهز مماليكه بالسلاح لمحاربة طشتمر[210]، ولكنه أدرك عدم جدوى المحاولة بسبب ضعف مركزه عسكرياً وسياسياً بعد أن اتخذ أولئك المماليك الأمراء كافة الاحتياطات اللازمة للحيلولة دون ذلك، وكأنهم كانوا يعلمون بأن تنكز ليس بتلك الشخصية الضعيفة التي من الممكن أن تهزم سريعاً، ولكن من ناحية ثانية كان تنكز يتصف بالحكمة وبعد النظر، ولذا فكر أنه من الأفضل الاستسلام فيحفظ بذلك أرواح المسلمين وأموال الدولة[211].

وبذلك تم القبض على تنكز الحسامي في يوم الثلاثاء 21ذي الحجة سنة 740هـ/18 حزيران 1339م على يد المماليك الناصرية، بقيادة طشتمر حمص أخضر نائب صفد[212].

ويصف الشجاعي اللحظات الأخيرة التي عاشها تنكز الحسامي في دمشق، فيقول ((بأن طشتمر غادر صفد وفي صحبته أربعين مملوكاً من مماليكه وقصد دمشق فوصل إليها ...، وكان تنكز في ذلك الوقت في قصره الذي بميدان الحصا، ... وعبر لدمشق، وجلس بدار السعادة، وأراد أن يشد خيله، فوجد الإصطبل قد أحاط به العسكر، فوقف بميدان الحصى بظاهر دمشق))[213].

وبعد القبض على الأمير تنكز الحسامي على يد طشتمر حمص أخضر نائب صفد، جرد طشتمر تنكز من سلاحه وقيده وسلمه إلى الأمير بيبرس السلاح دار بحضور الأمراء، وعاد طشتمر إلى صفد، ومن ثم رحل العسكر

---

(207) دار السعادة: اسم دار العدل التي أنشأها نور الدين محمود، تطور هذا المدلول في العصرين الأيوبي والمملوكي فأصبح يطلق على مقر النواب في كل من دمشق والقاهرة وحمص وحلب وحماة وغيرها، وفي العصر العثماني أطلق مصطلح ((دار سعادت))على إستنبول باعتبارها عاصمة الخلافة.(ابن طولون، 8، ح2؛ الخطيب، 172).

(208) تمر الساقي: هو الأمير سيف الدين تمر بن عبد الله الساقي المنصوري، أحد أمراء الألوف، كان من أكابر الأمراء ومن أعيان خاصكية الملك الناصر محمد بن قلاوون ومماليكه، وكان من مماليك الملك المنصور قلاوون أصلا، ثم تنقل في الولايات فناب بحمص سنة696هـ/1296م، ثم صرف واستقر بدمشق، ثم ولي نيابة طرابلس بعد انسحاب الأفرم إلى المغول سنة712هـ/1312م، إلى أن قبض عليه فاعتقل بالكرك ثم حول إلى مصر ثم افرج عنه سنة 735هـ/1334م وأعطي إمرة طبلخاناه بدمشق، كان له دور مهم في إقناع تنكز بعدم الفرار من الناصر ومن ثم القبض عليه، توفي سنة742هـ/1341م وقيل سنة 743هـ/1342م.
(مجهول، 211؛ ابن الوردي، 477/2؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 616؛ ابن حجر، 519/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 62/10؛ ابن إياس، 1/ ق1، 478).

(209) الكتبي، 254/1؛ الصفدي، الوافي، 426/10_427؛ ابن خلدون، 442/5؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 500؛
ابن تغري بردي، *النجوم*، 114/9.

(210) الكتبي، 254/1؛ الصفدي، الوافي، 427/10.

(211) ا لشجاعي، 63أ، 66أ_66ب، 67أ_67ب؛ الحجي، 52_53.

(212) أبو الفداء، *المختصر*، 493/2؛ الشجاعي، 63أ_63ب؛ الذهبي، *دول*، 246/2؛ الصفدي، الوافي، 427/10، *تحفة*، 241/2؛
الكتبي، 254/1؛ ابن كثير، 151/14؛ ابن خلدون، 442/5؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 499_500، *المقفى*، 618/2؛ ابن حجر، 525/1؛
ابن تغري بردي، *النجوم*، 114/9؛ الشوكاني، 172/1. .Holt 115

(213) الشجاعي، 63أ.

المملوكي بقيادة بيبرس السلاح دار وبصحبة تنكز الحسامي مقيداً إلى القاهرة[214]، وفي الحال أسرع بهادر حلاوة نحو القاهرة ليبشر السلطان أنه تم القبض على تنكز، فوصل إلى بلبيس ليلاً والعسكر المملوكي نازل بها، فاخبر الأمير بنبأ القبض على تنكز، ثم توجه لمقابلة الناصر محمد، وأعلمه الخبر، فسر الناصر سروراً عظيماً[215]، وكتب في الحال بعودة العسكر من بلبيس، وأن يتوجه بشتاك وأرقطاي وبرسبغا الحاجب إلى دمشق للحوطة على مال تنكز وممتلكاته، وأن يستقر الأمير بيغرا الجاندار[216]، والأمير قماري في الصالحية بانتظار تنكز[217].

كذلك تم في الوقت نفسه إمساك طغاي وجنغاي ((وهما مملوكي تنكز في دمشق)) واعتقلوهما بقلعة دمشق[218]، وطلب منهما تسليم ما لديهما من أموال، وعوقبا أشد العقوبة، وقبض على أولادهما وحواشيهما، وصودرت أملاكهما كلها وأموالهما، ثم وسطا بسوق الخيل[219].

كما قبض أيضا على الأمير صاروجا المظفري[220]، وأكحل، وقبض أيضا على الأمير الجيبغا العادلي[221].

وتجدر الإشارة إلى أنه حتى عندما جاءت الأخبار إلى الناصر بالقبض على تنكز فإنه بقي قلقاً، حيث كان يخشى عدم وصول تنكز إلى القاهرة، وبسبب اضطرابه وقلقه حلّف الأمراء في القاهرة والعسكر المصري بأجمعه، وأخذ منهم عهداً بأن يبقوا موالين له، كما أعلنت في مصر حالة الطوارئ، وأصبحت القوات المملوكية على أهبة الاستعداد لمواجهة أي طارئ قد يحدث بسبب إمساك تنكز، والخشية من انتفاض بعض النواب الموالين للأمير تنكز الحسامي، واستمر السلطان قلقاً حتى وصل بهادر حلاوة الأوجاقي وأخبره بمسك تنكز، وبعد أن تأكد الناصر من إمساك تنكز خرج فرحاً فرحاً عظيماً، وأراد أن يدق البشائر فنصحه الأمراء بعدم فعل ذلك، فأخلع على البريدي، ورسم له بإمرة عشرة، وأرسل إلى طشتمر كتاباً يشكره على فعله ويثني عليه فيما دبره[222](1).

وعندما وصل تنكز الحسامي إلى مصر يوم الثلاثاء8 محرم سنة741هـ/3آب سنة1340م بصحبة الأمير بيبرس السلاح دار: ((أنزل بالقلعة في مكان ضيق، وقصد السلطان ضربه بالمقارع[223](2)، فقام الأمير قوصون في الشفاعة له

(214) الشجاعي، 64ب؛ الكتبي، 254/1؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 500؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 114/9.

(215) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 500؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 114/9.

(216) بيغرا: الأمير سيف الدين بيغرا بن عبد الله الناصري الجاندار، كان أحد أمراء الألوف بالديار المصرية في أول وفاة الناصر محمد، ثم استقر نائب السلطنة حتى ولي الحجوبية في أيام السلطان الملك الكامل شعبان بن الناصر محمد (746_747هـ/ 1345_1346م)، ثم عمل كاشف الجسور بالوجه القبلي ثم أخرج إلى حلب أميراً، فمات بها في شوال سنة 754هـ/تشرين الأول1353م، وكان عاقلاً مشكور السيرة. (ابن حجر، 514/1_515؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 230/10؛ السخاوي، 72/1).

(217) الشجاعي، 65أ؛ المقريزي، *المقفى*، 618/2؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 115/9.

(218) الشجاعي، 65أ؛ الكتبي، 255/1؛ الصفدي، الوافي، 428/10.

(219) أبو الفداء، *المختصر*494/2؛ الذهبي، *دول*، 246/2؛ الصفدي، *تحفة*، 241/2؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 507؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 117/9.

(220) صاروجا المظفري: هو الأمير صارم الدين صاروجا المظفري، أحد الأمراء الناصرية، ثم أمسك بعد مجيء الناصر من الكرك في واقعة مير موسى بن الصالح علي، ثم أمّره بصفد ثم بدمشق، كان خير الطباع سليم الصدر، وكان ممن أمسك بعد تنكز واعتقل ثم أمر بكحله فعمي، ومات في أواخر سنة 743هـ/1342م.(ابن حجر، 198/2).

(221) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 507؛ ابن تغري بردي، *النجوم* 117/9.

(222) الشجاعي، 65 أ_65ب.

(223) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 506؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 116/9؛ دهمان، *ولاة*، 165.

والمقارع: مفردها مقرعة، وهي أداة خشبية أو جريدة معقوفة الرأس يضرب بها، أكثر ما يستعملها شيوخ الكتاتيب لتأديب الصبيان. (الخطيب، 404).

حتى أجيب إلى ذلك"[224]. وعندما دخل تنكز الحسامي مدينة القاهرة أمر السلطان جميع الأمراء والمماليك أن يقعدوا له بالطرقات عند باب القلعة، وأن لا يقوم له أحد، ولم يقابله السلطان بل كان قوصون يتردد إليه حتى قال له: "أبصر من يكون وصيك"، فرد عليه تنكز قائلاً: "قل له خدمتك ونصيحتك لم تترك لي صديقاً"[225]. ثم بعث السلطان إلى الأمير تنكز يهدده حتى يعترف بمن تحالف معه من الأمراء في عصيانه، فأجاب تنكز منكراً خروجه عن طاعة السلطان[226].و بناءً على أوامر الناصر أخرج تنكز الحسامي من قلعة القاهرة ليلاً إلى الإسكندرية[227] في حراقة[7][228] بالنيل صحبة المقدم إبراهيم بن صابر[229]، حيث قام بقتل تنكز هناك، وذلك يوم الثلاثاء 14 محرم وقيل 15 محرم 741هـ/9 أو 10 آب 1340م[230]. وكانت مدة اعتقاله في الإسكندرية أقل من شهر[231]، وقيل اثني عشر يوماً[232]. ولما كان في أوائل شهر رجب سنة 744هـ/تشرين الثاني1343م حضر تابوت الأمير تنكز من الإسكندرية، ودفن في تربته بجوار جامعه في دمشق[233].

ويرى أبو الفداء أن "الملك الناصر أضمر إهلاك تنكز عشر سنين وهو يخوله ويعظمه وينعم عليه وفي قلبه له ما فيه حتى قبض عليه"[234].

أما ابن حجر العسقلاني فيذكر أن الناصر كان يخطط للقبض على تنكز مدة ثماني سنوات قبل أن ينجح في تحقيق هدفه، وأن الناصر محمداً كان ينتظر طيلة هذه الفترة الطويلة من أجل ظهور الفرصة الملائمة لإمساك تنكز[235].

---

(224) المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 506؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 116/9؛ دهمان، *ولاة*، 165.

(225) الصفدي، *تحفة*، 242/2؛ ابن حجر، 526/1؛ الشوكاني، 172/1_173.

(226) ا لمقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 506_507؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 116/9.

(227) الإسكندرية: ذكرها ياقوت قائلاً: الإسكندرية العظمى ببلاد مصر بناها الإسكندر الرومي، (ياقوت، 217/1؛ القزويني، 143؛ الحميري، 54_56). وهي مدينة لا يتسع لها عمل ولا يكثر لها قرى، من أعمال الوجه البحري، كانت في العصر المملوكي مركزاً من مراكز البريد بين الشام والقاهرة.(العمري، 251، 271) وقد أصبحت نيابة مستقلة عام 767هـ/1365م، حيث أصبحت تضاهي في أهميتها نيابة طرابلس وحماة وصفد.(القلقشندي، 24/4_25)

(228) الحراقة: جمعها حراريق، وهي نوع من السفن الحربية الخفيفة، كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية، فيها مرامي النيران، يرمى بها على العدو في البحر، وهناك نوع آخر من الحراقات استخدم في النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة في الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية. (البقلي، 104؛ عاشور، *العصر*، 430؛ ضومط، 382؛ الخطيب، 140.

(229) إبراهيم بن صابر: هو إبراهيم بن أبي بكر بن شداد بن صابر مقدم الدولة، كان أصله من الغربية، ولي أبوه تقدمة بالمحلة، وولي هو أولاً جانداراً، ثم ترقى حتى ولي تقدمة الدولة، واشتهر في دولة الناصر وتمكن في الدولة حتى أنه كان يتحدث مع السلطان بغير واسطة، قبض عليه بعد الناصر ومات تحت العقوبة في صفد عام (742هـ/1341م) وقيل سنة(744هـ/1343م).
(المقريزي، *السلوك*، 2/ ق3، 658؛ ابن حجر، 21/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 9/10).

(230) أبو الفداء، *المختصر*، 493/2؛ مجهول، 211؛ الشجاعي، 72ب؛ الذهبي، *ذيول*، 121/4؛ ابن حبيب، *درة*، 166/2، 167، *تذكرة*، 321/2؛ ابن خلدون، 442/5؛ ابن الشحنة، روض، 280؛ المقريزي، *السلوك*، 2/ ق2، 507، *المقفى*، 619/2، ابن حجر، 526/1؛ ابن تغري بردي، *النجوم*، 116/9_117؛ ابن إياس، 1/ ق1، 479؛ النعيمي، 186/2؛ الشوكاني، 173/1؛ دهمان، *ولاة*، 165.

(231) الكتبي، 255/1؛ ابن حجر، 526/1؛ الشوكاني، 173/1.

(232) مجهول، 212؛ الحجي، 56.

(233) الذهبي، *ذيول*، 130/4؛ ابن الوردي، 479/2_480؛ الصفدي، *تحفة*، 242/2؛ ابن كثير، 169/14؛ النعيمي، 93/1، 186/2؛ دهمان، *ولاة*، 165.

(234) أبو الفداء، *المختصر*، 493/2.

(235) ابن حجر، 148/4.

ولاشك أن في عبارات هؤلاء المؤرخين شيئاً من المبالغة، حيث تتفق الكتابات المملوكية المعاصرة لهذه الحقبة أن الناصر محمداً لم يقرر القبض على تنكز الحسامي سوى في الأشهر الأخيرة من سنة 740هـ/1339_1340م، حينما جعلت الظروف هذا الأمر يبدو ضرورياً بالنسبة لأهداف الناصر محمد وخططه الرامية إلى إيجاد حكم مستقر في سلطنة المماليك، فبدا له، كما أوحى إليه بعض الأمراء ضرورة إمساك تنكز حيث أضحى وجوده خطراً يهدد استمرار حكم الناصر محمد، كذلك يبدو واضحاً في كتابات المؤرخ المعاصر الشجاعي أن الناصر محمد بدأ يرتاب في تصرفات تنكز وأفعاله، وبالتالي تغيرت مشاعره نحو نائب الشام الذي لم تخفَ عليه شكوك الناصر محمد، فأخذ يرتب الأمور من أجل النجاة بنفسه، وهنا اجتهد الناصر في وضع خططه ضمن إطار التنفيذ الفعلي بحيث يتم القبض على تنكز في أقرب وقت[236].

ويلاحظ بأن الأمير تنكز الحسامي رد على الافتراءات والادعاءات والتهم التي وجهت إليه، حيث أن الأمير سيف الدين قوصون _ وبعد أن حضر تنكز بصحبة بيبرس السلاح دار مقيداً _ أخذه إلى بيته بقلعة الجبل وبدأ يوجه إليه التهم التي نسبت إليه والمتمثلة في رفض القدوم إلى القاهرة بأبنائه، ورفض إرسال الأموال التي أخذها من النصارى، وتفريقه الأموال والخلع والخيل على الأمراء، وشرائه خمسمائة هجين ووضعها بالمرج، فرد عليه تنكز قائلاً: ((يا أمير سيف الدين، كل الناس لا بد لهم من صديق ومن عدو ما خلا مني فإني لم يكن لي صديق، وعاديت سائر الأمراء لأجل السلطان ولم أجد منهم ولا لي محب ولا صديق وسائر الأمراء تكرهني فمن هو الذي يحلف لي أو يتقرب مني))[237]، ثم أردف قائلاً: ((و أما الذي نقل عني قرمجي، فهو معذور لأنه كان جندياً في صفد سايباً معثراً أخذته وأقمته وأمّرته وجعلته حاجباً، وحاكماً في دمشق فظلم الناس وعسفهم وخرج عن الطريق فرد غيبته وحصل له مني الإهانة وخشي مني تحدث هذا القول ...، وأما مشتري الهجن، فأنا مات لي في هذه السنة ألفا هجين اشتريت عوضهم خمس مائة هجين فهو كثير إذا اشتريت عوضاً عن ألفين خمس مائة...، وأما ربطي لهم بالمرج فعمري هجني مربوطة بالمرج في أول حضوري وإلى الآن وأنا في وجه العدو فلا آمن أن يحضر للسلطان شغل أو مهم أو يدهمنا عدو على غفلة، ... وأما إعطائي الخلع والخيل للأمراء فهذا بمرسوم السلطان ... فما عملت هذا الأمر إلا بدستوره))[238].

يعتقد تنكز الحسامي أن كل ما وقع له يعود إلى طبيعة منهج الناصر محمد في الحكم وسياسته نحو كبار الأمراء حتى المخلصين منهم، فلم يستطع أحد أن يحمي نفسه من ذلك التيار النفسي الذي كان يسيطر على أفكار الناصر، ورغم محاولة البعض منهم الحيلولة دون وقوع ذلك لهم بما قدموه من جليل الأعمال في سبيل مصلحة الدولة، إلا أن جهودهم ذهبت هباءً، ولا أدل على ذلك من عبارات تنكز نفسه بعد القبض عليه، وأثناء التحقيق معه من قبل الأمير قوصون، حيث يقول: ((... وأنا فما عملت شيء ولا لي ذنب واحد أعرفه، قال له الأمير سيف الدين قوصون: ما هو ذنبك الذي تعرفه ؟ قال له تنكز: ذنبي أنني كبرت وطالت مدتي وانتظر وفاتي فلم أمت وكل نظرائي

(236) الشجاعي، 59أ_59ب، 62أ_62ب.

(237) الشجاعي، 66أ_66ب.

(238) المصدر نفسه، 66ب_67ب.

من خشداشيتي [239] راحوا وأنا مملوك السلطان وعمري أعمل على ما يرضيه وأمشي حسب ما يختار ولا يجري مني شيئاً))[240].

الخاتمة.

أهم نتائج البحث

من أهم النتائج التي توصل إليها الباحث ما يلي:

- لم يكن الأمير تنكز شخصاً طارئا على الحياة السياسية، بل كانت زعامته نتاج عملية تراتبية وإجراءات من الترقية للرتب العسكرية والإدارية التي أهلته لنيابة سلطنة دمشق.
- الدور السياسي والعسكري والإداري الذي حظيت به دمشق في العصر المملوكي عامة وفي عهد تنكز الحسامي خاصةً، إذ كانت تعتبر أهم نيابات الشام على الإطلاق، بل ومسؤولة عنها جميعاً.
- المكانة الرفيعة التي وصل إليها الأمير تنكز الحسامي في عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون، إذ حصل له من الجاه والسلطات التي أهلته لأن يصبح أعظم رجل في مصر والشام بعد السلطان الناصر.
- أثر الدسائس والمؤامرات التي كانت تحاك بين الأمراء والسلاطين المماليك، ودورها في إضعاف الدولة مع مرور الزمن، إذ كانت هذه المؤامرات تدبر ويخطط لها أحياناً من أقرب المقربين للأطراف المتخاصمة، وليس أدل على ذلك مما حصل بين تنكز والناصر.
- اعتقاد تنكز أن كل ما وقع له يعود إلى طبيعة منهج الناصر محمد في الحكم وسياسته نحو كبار الأمراء حتى المخلصين منهم، فلم يستطع أحد أن يحمي نفسه من ذلك التيار النفسي الذي كان يسيطر على أفكار الناصر، ورغم محاولة البعض منهم الحيلولة دون وقوع ذلك لهم بما قدموه من جليل الأعمال في سبيل مصلحة الدولة، إلا أن جهودهم ذهبت هباءً، ولا أدل على ذلك من عبارات تنكز نفسه بعد القبض عليه، وأثناء التحقيق معه من قبل الأمير قوصون.

الخلاصة:

من دراستنا المتفحصة هذه لمختلف جوانب الموضوع والمظاهر المتعددة للقضية التي تخفي بين حوادثها الكثير عن طبيعة التيارات التي كانت تشكل الكيان السياسي في سلطنة المماليك يظهر لنا بصورة واضحة أن تنكز الحسامي نجح بالفعل في الحصول على سلطة مطلقة لإدارة الشؤون المحلية في بلاد الشام، ولم يلتزم في كثير من الأحيان بمشاورة الناصر محمد حتى في معالجة أدق المسائل التي واجهته وهو في منصب النيابة، بل أنه لم يهتم طوال فترة نيابته بسؤال الناصر محمد النصيحة ولو من الناحية النظرية، فحظي طول الوقت بمركز قوي ومكانة رفيعة لم ينافسه فيها أحد، ومن جانب آخر كان الناصر محمد حذراً كثير الشك والارتياب، ولم يكن له أي ثقة على الإطلاق في أي من كبار الأمراء، أو في أي ظروف جديدة قد تظهر.

---

(239) الخشداش: فارسية معربة، جمعها ((خشداشية))، معناها الزميل في الخدمة، ومنها اشتقت الخشداشيه: وهي لقب الأمراء المماليك الذين نشأوا عند سيدهم، وتعني رابطة الزمالة التي كان لها أثر هام على الإطار التاريخي في العهد المملوكي، فقد كان هؤلاء يجلبون من أسواق النخاسة وليس بينهم من رابط سوى هذه الرابطة.(الصفدي، *تحفة*، 183/2، ح5؛ المقريزي، *السلوك*، 1/ ق2، 388_389؛ مرزوق، 82؛ الخطيب، 162؛ البقلي، 120؛ عاشور، *العصر*، 435).

(240) الشجاعي، 67ب.

وقد حدث فعلاً في وقت ما أن أصبح تنكز الحسامي أقوى أمير في سلطنة المماليك والحاكم المطلق في بلام الشام تحت إشراف السلطان الناصر محمد، وفي ظل هذه الأحوال تنبه الناصر محمد إلى تلك السلطات اللامتناهية التي كان يتمتع بها نائبه تنكز في حكم بلاد الشام، ومن هنا بدأت شكوك الناصر محمد في تصرفات تنكز وأعماله حتى العادية منها والتي لا يمكن أن تثير الشك عن أي حال من الأحوال، بالإضافة إلى ذلك، بدأ الناصر محمد يخاف من تنكز الحسامي، ويخشى ما كان يتمتع به من قوة وسلطة مطلقة، بل لقد بات الناصر أشد ما يكون خوفاً من محاولة تنكز الوصول إلى الإمساك بزمام السلطة العليا في سلطنة المماليك، وأنه ربما يحاول ذلك أثناء حياة الناصر محمد أو خلال حكم ولي عهده أبي بكر.

ونتيجة لذلك بدأ الناصر محمد يضع الخطط للقبض على نائب الشام قبل أن ينجح في الإطاحة بحكم الناصر محمد، أو على الأقل هذا ما كان الناصر محمد يفكر به وهو يرسم خطة مسك تنكز والتخلص منه نهائياً، ومن ثم استطاع الناصر محمد أن ينجح في تنفيذ خطة مناسبة، وتم القبض على تنكز الحسامي، وتخلص الناصر محمد بذلك من منافس كبير يخشى خطورته على استقرار الدولة المملوكية.

التوصيات والمقترحات.

- دراسة علاقة نواب السلطنة المملوكية في بلاد الشام ومصر بسلاطين المماليك في القاهرة، واستنتاج الأسباب التي كانت تؤدي في كثير من الأحيان إلى التوتر والصدام بين الطرفين.
- دراسة العلاقة التي قامت بين رموز الدولة الإسلامية والخلفاء، للوقوف على التداعيات التي خلفتها الكثير من الأزمات التي عصفت بالدولة الإسلامية عبر تاريخها الطويل.
- عمل موسوعة شاملة ومتكاملة عن أحداث الفتن التي حصلت بين المسلمين والإحاطة بأسبابها وتداعياتها، لأخذ العبر بسبب الحاجة الملحة لوحدة الأمة في مواجهة المخططات المحاكة ضدها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر العربية المخطوطة:

1- ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن. درة الأسلاك في دولة الأتراك. مخطوط مصور في مكتبة الجامعة الأردنية، ج1: مصور من مكتبة البودليان_ اكسفورد، رقم223_ مجموعة مارش، ويوجد عنه نسخة مصورة بمكتبة مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، ميكروفلم شريط رقم 539.ج2: مصور عن الجلاوي_ الخزانة العامة بالرباط 12/34، ويوجد عنه نسخة مصورة بمكتبة مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، ميكروفلم شريط رقم: 676.

2- الشجاعي، شمس الدين. تاريخ الملك الناصر محمد بن قلاوون الصالحي وأولاده من سنة 737_746هـ/ 1336_1345م، مخطوط محفوظ في: Sttatsbibliothek Press, Kulturbesitz, Orientabteilung, Vorlage, ويوجد عنه نسخة بمكتبة مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، ميكروفلمشريط رقم1042.

3- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، مخطوط مصور من جامعة ييل، رقم111، مجموعة لاندبيرج، ويوجد عنه نسخة بمكتبة مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية، ميكروفلم شريط رقم7.

4- المنصوري، ركن الدين بيبرس الخطائي الدوادار. زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة، مخطوط بجامعة ييل، مجموعة لاندبيرج، رقم758، ويوجد عنه نسخة مصورة بمكتبة مركز الوثائق والمخطوطات بالجامعة الأردنية، ميكروفلم شريط رقم20.

ثانياً- المصادر والمراجع العربية المطبوعة:

1- ابن أجا، شمس الدين محمد بن محمود بن خليل الحلبي. (د. ت). تاريخ الأمير يشبك الظاهري. تحقيق: عبد القادر أحمد طليمات. دار الفكر العربي. القاهرة.

2- أدي شير(1980م). معجم الألفاظ الفارسية المعربة. مكتبة لبنان. بيروت.

3- ابن إياس، أبو البركات محمد بن أحمد.(1402هـ/1982م). بدائع الزهور في وقائع الدهور. 5 ج. تحقيق: محمد مصطفى زيادة. ط2. الهيأة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

4- ابن أيبك الدواداري، أبو بكر بن عبد الله. (د.ت). كنز الدرر وجامع الغرر: الجزء التاسع وهو بعنوان: الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر.ج9. تحقيق: هانس روبرت رويمر. منشورات قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار. القاهرة.

5- الباشا، حسن. (1409هـ/1989م). الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع. القاهرة.

6- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق.(1373هـ/1954م). مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. 3ج. تحقيق: علي محمد البجاوي. ط1. دار المعرفة. بيروت.

7- البقلي، محمد قنديل.(1983م). التعريف بمصطلحات صبح الأعشى. الهيأة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

8- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي.(1984م). المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، 6ج، ج1، ج2، تحقيق: محمد محمد أمين. الهيأة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. ج3. تحقيق: نبيل محمد عبد العزيز. ج4، تحقيق محمد محمد أمين. ج6. تحقيق: محمد محمد أمين.

9- .....: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. 16ج.(1413هـ/1992م). قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، ط1. دار الكتب العلمية. بيروت.

10- التونجي، محمد.(1969م). المعجم الذهبي: فارسي_عربي. ط1. دار العلم للملايين.بيروت.

11- الجزري، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر.(1419هـ/1998م). تاريخ حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه (المعروف بتاريخ الجزري). 3ج، تحقيق، عمر عبد السلام تدمري. ط1. المكتبة العصرية. صيدا. بيروت.

12- ابن حبيب، الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر بن حبيب.(1402هـ/1982م).تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه. 2ج. حققه ووضع حواشيه: محمد محمد أمين. راجعه: سعيد عبد الفتاح عاشور. الهيأة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

13- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد.(د.ت). الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. 4ج. دار إحياء التراث العربي. بيروت.

14- حمادة، محمد ماهر. (1403هـ/1983م). الوثائق السياسية والإدارية للعصر المملوكي: (656_922هـ/ 1258_1516م) دراسة ونصوص. ط2. مؤسسة الرسالة. بيروت.

15- الحميري، محمد بن عبد المنعم الصنهاجي.(1975م). الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق: إحسان عباس. ط1. دار العلم للطباعة. بيروت.

16- الخطيب، مصطفى عبد الكريم.(1416هـ/1995م). معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، ط1. مؤسسة الرسالة. بيروت.

17- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي المغربي.(1391هـ/1971م)تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. 7ج. منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت.

18- ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم العلائي. (1405هـ/1985م).الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين. 2ج. تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي. ط1. عالم الكتب. بيروت.

19- دهمان، محمد أحمد.(1990م). معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي. ط1. دار الفكر المعاصر. دمشق.

20- .....: ولاة دمشق في عهد المماليك.(1401هـ/1981م). ط2.دار الفكر. بيروت.

21- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز.(1394هـ/1974م). دول الإسلام. 2ج. عني بنشره: عبد الله الأنصاري. تحقيق: فهيم محمد شلتوت. محمد مصطفى إبراهيم. إدارة إحياء التراث الإسلامي. قطر.

22- .....: ذيول العبر في خبر من عبر. ج4.(1985م). وهو ذيل على كتاب العبر، حققه: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت.

23- .....: سير أعلام النبلاء. 17ج.(1417هـ/1997م). ج17. تحقيق: أبو عبد الله عبد السلام عمر علوش. ط1. دار الفكر. بيروت.

24- .....: العبر في خبر من عبر.3ج.(1985م). تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول. دار الكتب العلمية. بيروت.

25- السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن.(1416هـ/1995م). وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام. 4ج. تحقيق: بشار عواد معروف. عصام الحرستاني. أحمد الخطيمي. ط1. مؤسسة الرسالة. بيروت.

26- 120سرور، محمد جمال الدين.(د. ت). دولة بني قلاوون في مصر _الحالة السياسية والاقتصادية في عهدها يوجه خا. دار الفكر العربي. القاهرة.

27- ابن الشحنة، محب الدين أبو الوليد محمد بن محمد.(1417هـ/1997م).روض المناظر في علم الأوائل والأواخر. تحقيق: سيد محمد مهنى. ط1. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية. بيروت.

28- الشوكاني، محمد بن علي.(د. ت). البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. 2ج. دار الكتاب الإسلامي. القاهرة.

29- ابن صصرى، محمد بن محمد. (1963م). الدرة المضيئة في الدولة الظاهرية. تحقيق: وليم.م. برينر.جامعة كاليفورنيا. بركلي. الولايات المتحدة الأمريكية.

30- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك.(1955م). أمراء دمشق في الإسلام. تحقيق: صلاح الدين المنجد. مطبوعات المجمع العلمي العربي. دمشق.

31- .....: تحفة ذوي الألباب فيمن حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب.2ج.(1992م).حققه: إحسان بنت سعيد خلوصي. زهير حميدان الصمصام. منشورات وزارة الثقافة. دمشق.

32- .....: الوافي بالوفيات.22ج. (1991م). دار فرانز شتاينر شتوتغارت.

33- ضومط، انطوان خليل. (1980م).الدولة المملوكية (التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري: 1290_1422م). ط1. دار الحداثة. بيروت.

34- طرخان، إبراهيم علي.(1388هـ/1968م).النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى. دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة.

35- ابن طولون، محمد بن علي بن أحمد بن علي بن طولون الصالحي الدمشقي. (1383هـ/1964م).إعلام الورى بمن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى. تحقيق: محمد أحمد دهمان. وزارة الثقافة للإرشاد القومي_ مطبوعات مديرية إحياء التراث القديم. دمشق.

36- الظاهري، غرس الدين خليل بن شاهين. (1894م). زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك. تحقيق: بولس راويس. المطبعة الجمهورية. باريس.

37- عاشور، سعيد عبد الفتاح.(1976م). الأيوبيين والمماليك في مصر والشام. ط2. دار النهضة العربية. القاهرة.

38- .....: العصر المماليكي في مصر والشام. (1976م). ط2. دار النهضة العربية. القاهرة.

39- العريني، السيد الباز. (د. ت). المماليك. دار النهضة العربية. بيروت.

40- العلبي، أكرم حسن.(1410هـ/1989م). خطط دمشق، دراسة تاريخية شاملة لدور القرآن والحديث والمدارس والبيمارستانات والجوامع الكبرى والخوانق والربط والزوايا والأسواق والخانات والحمامات والدروب من سنة 400_1400هـ. ط1. دار الطباع.

41- العمري، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى.(1413هـ/1992م). التعريف بالمصطلح الشريف. دراسة وتحقيق: سمير الدروبي. ط1. منشورات جامعة مؤتة_ عمادة البحث العلمي والدراسات العليا. الكرك.

42- غوانمة، يوسف درويش.(1402هـ/1982م). إمارة الكرك الأيوبية. ط2. دار الفكر. عمان.

43- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل محمد بن عمر.(1865م). تقويم البلدان. اعتنى بتصحيحه وطبعه: رينود والبارون ماك كوكين ديسلان. دار الطباعة السلطانية. باريس.

44- .....: المختصر في أخبار البشر. 2ج.(1417هـ/1997م). علق عليه ووضع حواشيه: محمود ديوب. ط1. دار الكتب العلمية. بيروت.

45- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود.(1969م). آثار البلاد وأخبار العباد. دار صادر. بيروت.

46- القلقشندي، أحمد بن علي. (1407هـ/1986م). صبح الأعشى في صناعة الإنشا. 15ج. ط1. شرحه وعلق عليه: نبيل خالد الخطيب. دار الكتب العلمية. دار الفكر. بيروت.

47- الكتبي، محمد بن شاكر. (د.ت). فوات الوفيات والذيل عليها. 5ج. تحقيق: إحسان عباس. دار صادر. بيروت.

48- ابن كثير، أبو الفداء الحافظ إسماعيل بن عمر الشافعي.(1418هـ/1997م). البداية والنهاية في التاريخ. 14ج. دار الكتب العلمية. بيروت.

49- ابن كنان، محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي.(1412هـ/1991م). حدائق الياسمين في ذكر قوانين الخلفاء والسلاطين. ط1. تحقيق: عباس صباغ. دار النفائس. بيروت.

50- مبارك باشا، علي. (1980م). الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة. الهيأة المصرية العامة للكتاب. القاهرة.

51- مجهول. (1919م). تاريخ سلاطين المماليك. تحقيق: زيتر شتين. ليدن. بريل.

52- مرزوق، محمد عبد العزيز. (د.ت). الناصر محمد بن قلاوون. المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. القاهرة.

53- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي. (1956م). السلوك لمعرفة دول الملوك، 6ج، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة. تحقيق: سعيد عبد الفتاح عاشور. مطبعة دار الكتب. القاهرة.
54- .....: المقفى الكبير، 8ج. (1411هـ/1991م). ط1. تحقيق: محمد اليعلاوي. دار الغرب الإسلامي. بيروت.
55- .....: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية.4ج. (1418هـ/1998م). ط1. وضع حواشيه: خليل المنصور. منشورات: محمد علي بيضون دار الكتب العلمية. بيروت
56- النعيمي، عبد القادر بن محمد الدمشقي.(1410هـ/1990م). الدارس في تاريخ المدارس. 2ج. ط1. اعد فهارسه: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية. بيروت.
57- ابن الوردي، زين الدين أبو حفص عمر بن مظفر الشافعي. (1389هـ/1970م). تتمة المختصر في أخبار البشر. 2ج. ط1. إشراف وتحقيق: أحمد رفعت البدراوي. دار المعرفة للطباعة والنشر. بيروت.
58- اليافعي، أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان. (1390هـ/1970م).مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان. 4ج. ط2. مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. بيروت.
59- ياقوت، شهاب الدين بن عبد الله الحموي. (1410هـ/1990م). معجم البلدان. 5ج. تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي. دار الكتب العلمية. بيروت.
60- اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى. (1406هـ/1986م). نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر. ط1. تحقيق ودراسة: أحمد حطيط. عالم الكتب. بيروت.

ثالثاً- المجلات:

1- الحجي، حياة ناصر.(1980م). "الأمير تنكز الحسامي". حوليات كلية الآداب. جامعة الكويت. الحولية الأولى.

رابعاً- المراجع باللغة الإنجليزية:

1- Holt: P. M. The Age of the Crusades the Near East from the Eleventh Century to 1517", Longman, London and Neu York.